دراسات في شعر

أبي نوّاس

محمد سعيد الشيخ علي الحنيزي

دار المحجة البيضاء

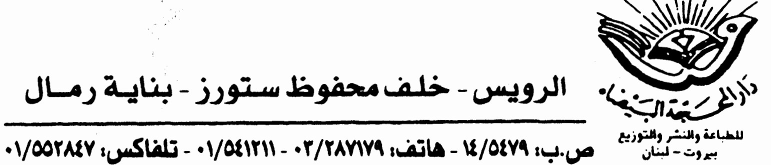
دراسات في شعر

أبي نوّاس

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلِّف

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

دراسات في شعر

أبي نوّاس

محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي

دار المحجة البيضاء



ملاحظة على الغلاف:

تم اختيار هذا الغلاف لارتباطه بعصر أبي نـواس الـذي مثلـه في شـعره حيـث كثـر في ذلـك العصر اللهو والترف والمجون لذا لزم التنويه.



صورة المؤلف

الإهداء

إلى عشاق الحرف... إلى الذين زرعوا الحرف الأخضر وسقوْهُ كؤوساً من الرحيق فتفتحت أوراده وضاعت عطوره.

أرفع لهم هذه الصفحات.

٣٠/ ٢/ ١٢٤٩ هـ

٨/ ٣/ ٢٠٠٨م

الحسن بن هانئ

إذا أراد الكاتب أن يتحدث عن الحسن بن هانئ بالطريقة التقليدية ولد سنة ١٣٦ هجري وقيل سنة ١٤٠هـ، ومات سنة ١٩٥هـ وقيل ١٩٦هـ وقيل ١٩٧هـ.

ولم يشر الكاتب للأحداث التي خلقها الشاعر أو خلقها ظرفه أو مر بها أو مرت به إنّ حياة الشعراء كحياة الشاعر الكبير الحسن ابن هانئ لا يستطيع الكاتب أن يمر بها مرور المؤرخين التقليدين الذين لا يهمهم إلا ميلاد الشاعر ووفاته وجزء من صور شعره، ولا يصورون حياته وما انعكست عليها من ظلال أحداث أو تمثيل لعصره وهل ذلك الشاعر إذا كان شاعراً هل جسد عصره كمرآة في شعره فعندما تقرأ الشعر الجاهلي تجده وتحس بعصره يتمثل في الناقة والبعير والصحراء والفتاة والكأس فهو يمثل عصره وكان الشعر كالإعلام المقروء والمسموع والمنظور، في عصرنا هذا عصر القرن الحادي والعشرين كان في عصر الجاهلية إذا نبغ الشاعر وأذاع شعره تناقلته الرواة وروته المحافل وتغنى به السمار في لياليهم وسهراتهم فأنا هنا جعلت بحثي ودراستي عن أبي نواس الحسن بن هانئ في نصوص شعره الذي مثل عصره بحق وسجله كمرآة تنطبع عليها صور ذلك العصر تشاهدها وتقرأها ولم أشر لحياته التقليدية التي درج عليها المؤرخون

القدامى ولد الشاعر ومات هذه لا تعطينا لمحة عن الشاعر كاملة وتجسده لنا فنقرأ ملامحه كأننا نعايشه جنبا لجنب ونشاركه ويشاركنا في العيش وفي الحياة كأنه يتحرك معنا إن تحركنا ويسكن معنا إن سكنا.

أنا لا أنكر أن الفضل للمتقدمين ويشكرون على ذلك ولولاهم لضاعت حلقات من تاريخنا في ضباب النسيان، والحياة تطور والعلم يتطور، والفضل للسابقين؛ وبرغم هذا وذاك سأشير لأبي نواس عن ميلاده، ووفاته وحياته باختصار وأكتفي بدراستي بنصوص شعره التي أعطيت عنها دراسة واسعة في تلك النصوص الخمريات والغزليات والمديح والهجاء والرثاء والزهد والطرد ففي مقدمة هذا البحث أشرنا إلى مولده ووفاته وقيل ولد بالأهواز أو بالبصرة وهذا الاختلاف في هذه الظاهرة التاريخية لا يفرق على حياة أبي نواس ولكنه عاش تحت ظل أمِّه (جلبان) لأنه مات عنه والده وعمره لا يتجاوز العامين فعاش يتيماً في حياة بائسة وبعد أن شبَّ وقوي عوده دفعت به إلى عطار ليبري أعواد البخور وتزوجت وانشغلت بنفسها عن ابنها ونقرأ من هذا الخبر أنها تفقد حنان الأمومة والعاطفة المشبوبة التي لا توجد إلا في قلب الأم ولكنَّ بعض الأمهات تشذ عن هذه العاطفة وتعيش لا يهمها إلا نفسها فهي تقول نفسي نفسي لا ابني، وكان أبو نواس لا يأتي البيت إلا للنوم ليأخذ قسطاً من الراحة لأنه فقدَ ينبوعاً من الحنان يفيض عليه قطرات ترويِّه من ظمأ الحياة وتمسح عنه غبار شظف العيش وكفاً تربت عليه فتشعره بحنان الأمومة ورأفتها التي لا يوجد في الدنيا مثلها فأبو نواس حرم من هذه النعمة وعاش في صحراء مجدبة لا حب فيها ولا حنان، ويمر بالمساجد ليلا ليسمع

الخطباء والشعراء ويحضر ندواتهم، وما يدور فيها من شعر وتاريخ، وأبو نواس لم يخلق لدنيا عمل مثل هذا العمل، وكان عبقرياً متوثباً وذكياً فترك عمله ومن الصدف التي تخدم أبا نواس أنه كان يبحث ويقرأ شعر والبة بن الحباب وكان والبة ذلك الشاعر يسكن الكوفة وقد حققت الصدفة الجميلة أن يلتقي أبو نواس بوالبة في مدينة البصرة وكل منهما لا يعرف الثاني، ومنذ التقت عيناهما على وجه كل منهما أحسا بتجاوب روحي وكأنهما يقرآن سراً ضاع منهما فوجداه فتقدم أبو نواس وقال لوالبة من أنت فأجابه أنا «أبو أسامة» والبة بن الحباب، وكأنّ النواسي سقط عليه برداً من السماء كما يسقط على ثغور الزهور في وهج القيظ، قال النواسي أنا معجب بشعرك وأحفظ لك وقال والبة ماذا تحفظ لي فأنشده أبيات والبة التي يقول فيها:

ولـهـا ـ ولا ذنـب لـهـا ـ

حب كـأطراف الرماحِ

فسر به والبة سروراً عظيماً وأخذه معه إلى الكوفة، وتوسم فيه النبوغ ولازمه في الندوات ومع الشعراء والأدباء والمثقفين والعلماء، وكان في ذلك العصر التجمع الثقافي في المسجد كنادٍ جامع للعبادات والندوات الثقافية والأدبية وبعد فترة من الزمن ذهب الحسن بن هانئ إلى البادية وعاش فيها قرابة عام أو تزيد سمع فيها الشعراء ودرس فيها اللغة العربية، وشاهد الصحراء في الليل والصحراء في الليل تزهو بسمائها ونجومها فتنظر له الطبيعة عارية بدون رتوش فكسب من هذه الرحلة لغة وعلماً، وبعدها رجع للبصرة واتصل بخلف الأحمر وكان أستاذاً له دور متضلّع في اللغة العربية وفي أشعار العرب فكثيراً ما يروي عنه التاريخ ومعاجم اللغة فاشتد

ساعد أبي نواس واستقل في شعره وأخذ يذيع الأشعار ويرسم الصور بدون تقليد بل كان ينعى على الشعراء القدامى الذين يبكون الطلول التقليديين ويسخر منهم وباختصار بعد أن وصل إلى قمة الروائع الشعرية ذهب إلى بغداد، واتصل بملوك العباسيين كالرشيد والأمين وكانت صلته بالأمين صلة ودٍّ وحب حتى أن التاريخ أشـار إشارة رمزيـة إلى ما بين الأمين والنواسي من ظاهرة حب وعلاقةٍ، فأبدع النواسي وجسد عصره فالشاعر هو الذي يصور عصره ويجسده ويعيش أحداثه ويرسمها في نصوصه وقد أشرت لما يرتبط به أبو نواس وذلك العصر في تمهيد من بعد هذا الحديث.

وأكتفي بهذا الحديث الموجز عن أبي نواس (الحسن بن هانئ).

تمهيد

تبـــثُ ســـوانحها الخـــاطراتْ

وإنَّ الـــسوانح بنـــتُ الفِكَـــرْ

حقيقة لا مراء فيها ولا جدال فإنَّ السانحة هي بنت الفِكرة ووليدتها، فالفكرة تمر في آفاق العقل كشعلةٍ ضوئية تضيء الطريق لصاحبها، وإذا لم يقتبس من ضوئها ستُخمَد تلك الشعلة، وقد تعود أو تنتهي فتقبر، وقد تتولد فكرة تجدُّ غير تلك الفكرة والحياة فرص، وهذه الفرص ذهبيةٌ إذا لم يستغلها صاحبها ستضيع وتنتهي إلى طيف الغروب كما ينتهي عمر صاحب تلك الفكرة، فالوقت من ذهب والعمر ينفذ وكل يوم يمر عليه لا عِوَض له؛ فهو كالظل تنسخه الشمس فلا يعود ذلك الظل السجساج وينتهي إلى النهاية الحتمية (الموت) الغروب الذي لا بد منه إن طال أو كثر إذن فالحياة فرصة من الفرص وكتابٌ مفتوحٌ نقرأ في حروفه العِبرة والعَبرة، والبسمة والدمعة، والفرح والحزن، وكل هذه لا تبقى ولا تدوم، فالسرور لا يدوم والحزن لا يبقى وكل شيءٍ زائلٌ ومنتهي.. إلا وجه الله هو الباقي وطاعته هي الكنز للمرء في الدنيا والآخرة، وفقنا الله لطاعته وجنبنا معاصيه بحولٍ منه وقوة إنه مجيب الدعوات وغافر الخطيئات.

وهذا التمهيد الذي دعاني إلى هذه الحروف هي خاطرة مرت في آفاق

نفسي، وأنا أقرأ ديوان الحسن ابن هانيء (أبي نواس) فكانت هذه الخاطرة التي ولدت من السانحة أَخَذَتْ تراودني وتلح عليَّ بعنف أن أكتب عن أبي نواس والعصر العباسي الذي يتمثل كمرآةٍ يعكسها شعر أبي نواس.

فشعر أبي نواس يجسد هذا العصر، ولكنه يجسد ناحية من نواحيه، أو قل النعيم والترف والمجون؛ والكأس والعود، وما فيها من ألوان دروب الفسق والفساد الذي شاع في ذلك العصر شيوعاً ملأ عاصمة المُلك بحرية وصراحة، فكانت حانات الخمر تنتشر في مدينة بغداد (مدينة السلام) وتُقْصَد بحرية بدون أن يتعرض لها الشُرط (الشرطة)، أو المسؤولون في تلك الدولة، وقد جاءهم هذا الترف والفسوق من النعم التي أفاضها الله على تلك الدولة فأغدقت على مواليها والشعراء الذين يتمسَّحون بالبلاط، فكان هذا الطغيان والعصيان لله جزاءً لِما أنعَمَ به عليهم، حيث كان الرشيد يخاطب السحابة في السماء أينما تهطلين يأتيني خراجك.

وعاش في المُلك أكثر من ثلاث وعشرين سنة يتصرف فيه بغير رقيب ولا حسيب يقتل من يشاء ويعفو عمّن يشاء، ولا يستطيع أحد أن يعترض عليه ببنت شفة، ولو اعترض عليه لكان مصيره القتل، وسوف نعطي لمحةً عن هذا العصر الدموي الذي قام على الأشلاء والجثث والجماجم بعد هذا التمهيد، ونأتي بالنصوص الشعرية التي جسدت هذا العصر في جهة واحدة وهي الترف والمجون.

المقدمة

أكتب هذا الكتاب والألم يعصرني لما قرأت من صفحات دامية من عصر الدولة العباسية ويؤسفني أكثر أن جدهم عبد الله كان حبر الأمة ومستقيماً يحب الرسول وآل بيته وأحد تلاميذ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فكيف تحولت هذه الأبناء وانحرفت عن خط جدهم حبر الأمة الذي كان ثقة وراوية عند جميع المسلمين لا يختلفون عليه ويعظمونه ذلك التعظيم الذي يليق به فهو أهل لذلك، غير أن العصر العباسي في سني ملكه الطويل لقي منه المسلمون حروباً وثورات دامية لم يستقر هذا الحكم إلا على الأشلاء والدماء السائلة برغم ما ازدهر في عصره فجر العلم والفكر والأدب والشعر فكانت بغداد مهبطا للعلم والفكر يؤمها جميع المفكرين والعلماء ليشربوا من جداولها ويتزودوا ويمتاروا من زادها فهي نجم متألق في سماء العلم والأدب وقد أشرت إلى بعض الصفحات من ذا وذاك عندما تحدثت عن شعر أبي نواس لأنه مرآة يعكس ظلالاً من ظلال ذلك العصر قد انطبعت تلك الظلال في تلك القوافي ورسمها صوراً عاشها أبو نواس وسجلها قوافياً بقيت خالدة من عصر الرشيد والأمين ولعلها تشمل المأمون إن لم تخني الذاكرة وعندما ترجع إلى شعر النواسي وترى لياليه التي سجلها في خمرياته توافقني على هذه الحقيقة التي جسدها

النواسي من واقع حياة عصره، وكيف أصبحت النساء تتزيَّ بزي الذكور لأنه كثر الانحراف إلى قوم لوط فالمرأة تتزيَّ بما يهواه رجال ذلك العصر وتُبدل نفسها لمن كان على طريقة قوم لوط أو من كان على طريقة الزُناة:

من كف ذات حرٍّ في زي ذي ذكر
لهـــا محـــبان لوطـــيٌّ وزنَّـــاءُ

ونكتفي بهذه الأحرف التي هي كتمهيد لفاتحة هذا الكتاب الذي نأمل أن ينتفع به القراء ويعرفون ما وراء التاريخ وما يدور بين جدرانه السحيقة البعيدة.. البعيدة، التي تفصل بيننا وبينه ولكننا لا بد أن نرتبط بماضينا ونعرف ما في أحرفه وما هو مسجل في صحائفه فمن لا ماضي له لا حاضر له فقراءة الماضي ضرورة لأن فيه عِبرةٌ وعَبرة.

٣٠/ ٢/ ١٤٢٩هـ
٨/ ٣/ ٢٠٠٨م

لمحة مقتضبة عن العصر العباسي

إنَّ الدولة العباسية عندما بدأت وقامت بالدعوة لها بالمُلك ضد الدولة الأموية وكانت حركتها مبطنة بالخفاءِ تحت ستار الليل خوفاً من السلطة الأموية القائمة ولما كانت الدولة الأموية تعيش على القمع والقتل بحيث ضاقت صدور البشر من هذا الحكم فوجدت لها جواً تتنفس فيه وتعلل ظلمتها بآمال قد تشرق لها من سماء مرتقب فجرها وأخذ العباسيون يدعون باسم الرضا من آل البيت وتارة باسم القائم من آل البيت في عبارات متلونة الألفاظ، ولكنّ الهدف واحد للوصول إلى كرسي الحكم فأهريقت الدماء وقُطِّعَتْ الأشلاء من عام واحد وثلاثين بعد المائة من الهجرة حتى بدأت الدولة العباسية بحكم السفاح أبي العباس عام اثنين وثلاثين بعد المائة من الهجرة هنا بدأ الحكم العباسي وقام على أنقاض أشلاء الدولة الأُموية وظل هذا الحكم الجديد يغتال ويقتل حتى انتهى دور السفاح ولُفَّ وراء الحياة، فجاء المنصور الدوانيقي فأسلط سيفه على رقاب البشرية كما بسط حكمه على هذه الأرض فجمع القسوة والبخل والتقتير، فكان يحاسب عماله حتى على الديناق حتى سمي بالمنصور الدوانيقي، فيشاركهم في ما يكلفهم من أعمالٍ يقومون بها له فيأخذ منهم قسماً ويرجع قسماً آخر، ونضرب لهذا مثلاً عندما بنى مدينة بغداد وبنى فيها قصوره ومن ضمن تلك القصور قصر الخلد حاسب بعض المشرفين على تلك الأعمال وعندما حسب معهم استرجع منهم بعضاً وترك لهم بعضاً، هكذا يرويه الطبري نقلناه بالمعنى لا بالنّص، ولقسوة المنصور وظلمه لم يسلم منه حتى القواد الذين بنوا الدولة

العباسية، ولولاهم لما قامت هذه الدولة الطويلة العريضة فغدر بأبي مسلم الخراساني فقتله وابن هبيرة وعمه حيث سجنه في قصرٍ بنى أساسه من الملح ففتح عليه تياراً من الماء فذاب الأساس وهوى القصر بمن فيه فقتل عمه بهذه الحيلة أنا لا أنكر أن هذه الدولة مدت ظلها واتسعت أكثر من الدولة الأموية وبلغ فيها الترف والنعيم إلى أبعد حدودهما حيث روى بعض المؤرخين أن قصر الخلد فيه أكثر من أربعة آلاف جارية كلها تحت تصرف الحاكم المطلق الذي لا يرد له أمرٌ ولا يعترض عليه من رعيته معارض غير خالقه الذي أعطاه فلم يشكره؛ وأنعم عليه فلم يراعِ تلك النعمة وبلغت الشوط الكبير هذه الدولة في عصر الرشيد حيث كثرت الفتوح وكثر الخراج والجباية فغرقت في البذخ والنعيم بين الكأس والوتر حتى كثرت الحانات وانتشرت بحرية بدون معارضة ولا مراقبة، وكان يستخدم فيها أربابها القبطيات واليهوديات ذكراناً وإناثاً في زيٍّ واحد هو زيّ الذكور حيث كثر الانحراف الجنسي وقد عبر الحسن بن هانىء عن هذا الانحراف في هذا البيت:

من كف ذات حرٍّ في زي ذي ذكر
لهـــــا محـــــبان لوطـــــيٌّ وزنَّـــــاءُ

إنّ هذا الانحراف الجنسي يجسده شعر أبي نواس ويرسم لنا ترف هذا العصر وما فيه من مفاسد خلقية وانحدار لشريحة من بعض مثقفيه وشعرائه حيث لا يهمهم إلا الكأس واللهو يغرقون أيامهم في هذا البحر حتى لا يكاد يفيقون من كأسٍ إلا إلى الكأس ونحن لا ننكر لما أنتج من علم وثقافة وأدبٍ في عصر حكم الدولة العباسية وتألق للعلم والأدب فحيث زخرت

وازدهرت دار السلام عاصمة المُلك بالأفكار العلمية والأدبية وإنتاج الكتب وترجمة الكتب الأجنبية للغة العربية كالعلوم الفلسفية لحكماء اليونان وأُشيدت فيه بعض الجامعات كجامعة المستنصرية فكانت بغداد تُقْصَد من جميع أنحاء العالم لطلب العلم والثقافة، فكان الأوربيون يعتمرون العمامة ويلبسون القفطان والجبة فيأتون إلى بغداد ليسقوا من ينبوع العلم والثقافة، وفي عصرنا قد انعكست الآية فأخذنا نرتدي السترة والبنطلون ونلف على أعناقنا ربطة العنق لنذهب إلى أوروبا لندرس في معاهدها وجامعاتها وهكذا تنعكس الحياة وتتبدل العصور.

وإنني سأحاول في هذه اللمحة المقتضبة أن أُلمّ بعصر الدولة العباسية إلمامةً ولو كإيماءة الشاطىء أو إلمامة كإلمامة الجزع كما يقول الشاعر (لعل إلمامةً بالجزع...) إلى آخر البيت.

فإلمامتي هذه لأسجل لمحةً من جوانب هذا العصر وأمرَّ بحياته النعيمية التي غرق أهلها في الترف إلى أبعد حدود الترف حتى نسوا المنعم عليهم الذي خلقهم وفيَّأهم بهذه الظلال فغرقوا بين الكأس والعود، وهكذا يعصى الله بنعمه، فعندما نتحدث عن هذه اللمحة الظرفية لأنها مرتبطة إرتباطاً كلياً بدراستنا لشعر أبي نواس فشعره يمثل هذه اللمحة من ذلك العصر الماجن الذي جمع في ملامحه وفي طيات ساعته وأيامه المتناقضات فهو عصر الجواري عصر الكأس عصر الوتر عصر امتداد الحكم والتوسع على رقعة هذا الكوكب عصر ترجمة العلوم اليونانية وغيرها إلى العربية، وترجمة العلوم العربية إلى اللغة اليونانية وغيرها عصر القسوة التي طغت عند حكام هذه الدولة، فأقل كلمة ينطق بها أحد حكام هذا العصر

لمن يغضب عليه أن يقول له يا ماص بظر أمه ويابن الزانية ويـا بـن اللخنـاء وهذه الألفاظ تكررت من أول حاكم إلى آخر حاكم هذا إذا نجى من القتل وإلا فالقتل بعد هذه الكلمات البذيئة.

وأنا أقـرأ سـيرة هـذه الدولـة الملطخـة بالـدم وكيـف طغـى حكامهـا وملوكها ونسوا خالقهم فخذ مثلاً الرشيد وهو في مدينة طوس بإيران وهـو يحتضر يأمر بشخص أن يقتـل ثـم يقطـع أجـزاءً أجـزاء بعـد القتـل، وبعـد ساعات من هذا الأمر الجائر فارق الحياة، ولو لم يفارقها لكـان في سـجنه في مدينة طوس أعداد تنتظر هذا المصير ولم يخف من خشية الموت ولا الرعـشة التي سرت في جسمه سبحان الله ما هذا البشر إنه لعجيب غريب.

كيف نشاهد الجبابرة الذين قلوبهم نحتت من صخر أو هي أقسى من الصخر لا تلين حتى في اللحظات الأخيرة التي هي آخر أنفاس هذه الحياة ولكنَّ وعاظ السلاطين والتجار الذين يبيعون ضمائرهم في سبيل حفنة من نقود أو ذهب براق أو منصب يعيشون عليه فوق رقاب العباد ولا يحسبون حساباً للعواقب وينسون آخرتهم وينشغلون بدنياهم وما يدري ماذا يبطن له الظلام المتلبد في أفقه لعل ذلك الصباح يغضب عليه ذلك الطاغية فيهوي به إلى هاويةٍ سحيقةٍ ويصادر جميع أمواله وممتلكاته التي اكتسبها بالسحت من دماء البشرية فيقتله أو يسجنه ونضرب بذلك مثلاً العلاقة الأخوية التي زُرعت ونمت بين الرشيد وجعفر بن يحيى البرمكي منذ الرضاع وكانت أم جعفر هي أم الرشيد وأخذت دوراً في احترام الرشيد لها وتقديرها، حتى بلغ الحب بينهما والود إذا سمرا وسهرا السهرات الخاصة، ويجلسان في مجلسٍ يلبسان فيه ثوباً واحداً ويقضيان السهرة مع العباسة

أخت الرشيد ويدور عليهم الكأس؛ وتغني الجواري وحتى بلغ من جعفر ذات ليلة كان في سهرته الحمراء الخاصة التي ينفرد بها دون الرشيد، فدخل عليه أحد أعمام الرشيد لا يحضرني اسمه فامتعض جعفر لأنه نغص عليه تلك السهرة فقال لهم على حريتكم وأنا لا أشرب النبيذ ولكن لأجلكم سأشرب قليلاً فقال أحد أعمام الرشيد إنني أطلب منك أن تكون واسطة إلى باب أمير المؤمنين أن يرضى عن ابني لأنه غاضب عليه، وأن يوليه إمارة مصر وأن يزوجه ابنته ولا يحضرني اسم البنت أيضا فأجابه جعفر لقد رضيَ أمير المؤمنين عن ابنك وقد زوجه ابنته وقد ولاه مصر فاستعجب الحضار من ذلك لأنه أجابه بفعل الماضي قبل أن تلقى عليه الجوازم فذهب جعفر للرشيد كعادته فقص عليه القصة والتحاور الذي جرى بينه وبين عمه فقال له أحسنت لقد رضيت لقد زوجت لقد وليت هكذا بلغ جعفر إلى شأوٍ ما بعده شأو؛ وإلى نفوذ في الدولة ما بعده نفوذ حتى قيل أن أمره لا يُرَدُّ وأمر الرشيد يرد، وترجم هذا الفعل في معنى بيت كتب على رقعة وجدت على مكتب الرشيد فيها هذا البيت:

أمـــرك مـــردودٌ إلـــى أمـــره

وأمـــره لـــيس لـــه ردُّ

هكذا بلغ جعفر البرمكي حتى انقلب مجن الزمن ودارت عجلته وخرج ليلة من عند الرشيد بعد تلك السهرة الحمراء التي تقلص فيها ذل الحاكم والمحكوم.

بعد ساعات جاءته الجلاوزة ومن ضمنهم الفضل بن الربيع يطلبونه

الحضور أمام الرشيد وبطريقة لم يعهدها حيث أخذوه أخذَ مجرم مهان، وهو يتوسل بالجلاوزة، وأقيمت على قصوره حراسة وأحضرت عليه جميع ضياعه وأملاكه لأن الرشيد خشيَ على ملكه من جعفر بما يغدق به من أموال الدولة على تلك الجماعات التي تحيط بجعفر، فالمال هو الأساس لجمع الناس فطلب مواجهة الرشيد إلا أن الرشيد أبى أن يُدخَل عليه أو أن يراه لأنَّ الرشيد عندما تقع عينه على جعفر سيعفي عنه ويعيده إلى منصبه فأبى أن يُدخَل عليه وأمر بقطع رأسه وأن يحضر بين يديه بغير هوادة وتأني، فأخذ يحث الفضل بن الربيع حتى غضب وقال إذا لم تقتله سأقتلك، فلم تمضي إلا لحظات وإذا رأسه بين يد الرشيد وقبل لحظات كان يضمهما ثوب واحد، وأمر بصلبه على أن يقسم عدة أقسام ويعلق على أبواب دار السلام هكذا الحياة ولم يكتفِ الرشيد بقتل جعفر فقد سجن والده يحيى وصودِرت أملاكه وجميع أملاك البرامكة عدا محمد ابن الفضل ولا نعرف لماذا ترك هذا لأن التاريخ لم يعلل لنا ذلك السر الذي لم يشمل ويطال محمد بن الفضل ولعل السر في ذلك عدم اشتراك محمد في معارك السياسة أو اختلاطه بالجمهور وهذا التعليل لم نقف على حقيقة تاريخية تسنده ولكننا نقتبسه من الظروف السياسية التي تحيط بذلك العصر.

ونقرأ من مصارع البرامكة أنّ السياسة لا ترحم ولا تجازي فإنّ يحيى بن الفضل والد جعفر كان له دورٌ خطير في تولية الرشيد المُلك حيث إن أخاه الهادي أراد إبعاده عن الملك وتولية ابنه وسجن يحي بن الفضل في المطبق وفي بعض الروايات التاريخية سجن الرشيد وكانت أمهما الخيزران تميل إلى الرشيد أكثر من الهادي كما قرأت في تاريخ الطبري أنه قرر الهادي

قتل الرشيد ويحيى ابن الفضل إلا أن الموت أعجله فقضى على أحلامه وإرادته وما شاء الله لا ما شاء الناس فهكذا كان الجزاء من السياسيين للسياسيين قاتل الله السياسة فإنها لا ترحم ذوي رحمٍ أو غير ذي رحم في مصالحها.

وتميز العصر العباسي لطغيانه بكثرة الثورات عليه فقد حدثت عدة ثوراتٍ منذ بداية الحكم حتى نهايته كما يقص علينا التاريخ أو تكون متلاحقة في ظروف مختلفة ولكنها لم تهدأ الثورات من بداية قيام الدولة العباسية حتى انقراضها حتى قال شاعر:

(يا ليت جورَ بني مروان زاملنا)

فالدولتان لم ترحم مواطنيها وكانتا عنصرين في تشتيت المسلمين حيث تمزقوا وتقسّموا إلى دويلات ففي مصر قامت الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية والدولة الفاطمية وفي حلب الدولة الحمدانية وفي العراق وإيران الدولة البويهية وإلى غير ذلك من الدول فكان الحاكم العباسي يكتفي بذكر اسمه في خطبة الجمعة وليس له إلا الاسم.

حتى قال شاعرٌ:

وتأخـــذ باســـمه الـــدنيا جمـــيعاً

ومـــا مـــن ذاك شـــيءٌ فـــي يديـــه

والعوامل التي هزت هذه الدولة وجعلتها كأغصانٍ في مهب الريح إدخالها الأتراك والعجم وتسليطهما على الحكم كقوادٍ ووزراء ومستشارين

حتى أصبح الحاكم يُعزل أو يقتل بأمرٍ من وصيفٍ أو بغا ويؤتى في الصباح بمن يختاروه ويوافقون عليه فلا أمر للحاكم ولا خيار له في البقاء في الحكم أو العزل إلا بإرادة وصيف وبغا وأمثالهم من القواد، حتى وصف هذه الصورة المهزوزة بعض الشعراء:

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وكان الشاعر ابن الجهم يفتخر بسلب سلطة هذه الدولة ليمدح الحاكم العباسي فيقبض منه ذهبه الوهّاج فيقول:

إمامي من له سبعون ألفاً

من الأتراك نافذة السهام

وهذا المدح في المتوكل الذي قتله ابنه وهو على المائدة الحمراء وراح ضحيةً لها، وتناثر لحمه في أقداح الشراب وأنت عندما تقرأ تاريخ الدولة العباسية وتمر بفصول حكامها ومشاهد أحداثها تخرج من دراستك لهذا التاريخ بنتيجة واحدة تخرج منها إنَّ أعلم وأثقف حكام هذه الدولة المأمون، ولم يمر عصره بدون ثورات وسفك دماء وحتى العاصمة نفسها تمر عليها فترات يسلب منها الأمن وتعيث فيها اللصوص وقطاع الطريق والإنتهازيون، فاستمرت الحروب والثورات إلى أمد طويل ولكنّ المأمون لحكمته وبُعد نظره وسياسته العميقة أراد أن يقضي على الثورات بدون سيف أو رمح فطلب إشخاص الإمام علي بن موسى الرضا من المدينة

المنورة وإحضاره إلى مدينة طوس بإيران فعرض عليه أن يكون هو الخليفة ويتنازل عن الحكم فلما أبى عليه الرضا عليه السلام قال له إذن لابد لك من ولاية العهد فلما رفض الإمام الرضا عليه السلام هدده بالقتل فعند هذا التهديد استجاب له الإمام عليه السلام لولاية العهد على ألاَّ يحرك ساكنا ولا يسكن متحركاً فعقد له ولاية العهد ولكنه أطرها بإطارٍ مطليٍّ بالغدر فدس له السم في العنب فتخلص منه ومن ولاية عهده، وكان المأمون سياسياً في جعله الإمام الرضا عليه السلام ولي عهده يقصد منها إخماد الثورات التي انبعثت عليه من كل ناحية من مملكته، وإقناع الجمهور ليكونوا معه وضد الثورات الملتهبة، وعندما حانت الفرصة الذهبية قدم له العنب المسموم فقتله ثم خرج حافياً وراء جنازته يلطم ويبكي ليذرف الدموع أمام الجمهور وهو يضحك في قلبه مسروراً هكذا السياسة كما قال الشاعر:

تحـــبو إليـــك بمقلـــةٍ مـــسفوحةٍ

وتـــشيحُ عنـــك بقـــسوة الجـــلادِ

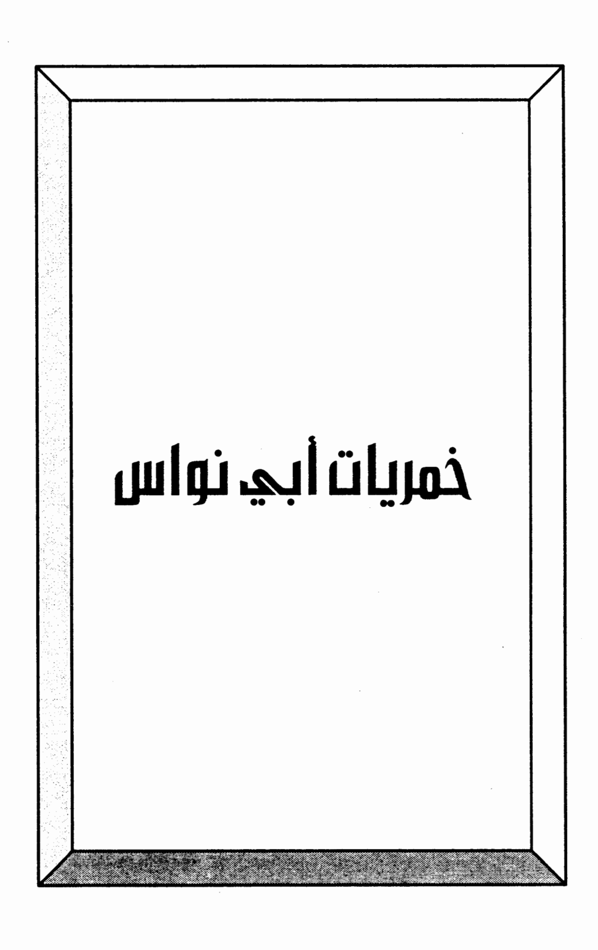
إنه تعبير يصور السياسة ويجسدها فهي لا ترحم قريبا أو بعيدا عندما تصطدم بمصلحتها، هكذا العصر العباسي عاش قرابة ستة قرون تقريباً في عسف وظلم وإراقة دماء وفي ثورات في كل ناحية تتعالى تلك الأصوات ولكنها تخمد في نأمتها وتدفن حية في أرماسها، وما أصدق ذلك المثل المروي عن أحد أئمة الهدى من آل البيت عليهم السلام (لو لم يجدوا أعوانا علينا لما ظلمونا) فالدولة العباسية صيغت مباني ملكها على المكر والزيف فهي تضرب بمن يتزلف لها ويتقرب لها بأعدائها وعندما يتحقق النصر فمصيره

العزل أو السجن هذا أقل ما يكافؤ به وإلا فالموت في أكثر الحالات والتاريخ مشحونٌ بهذه القضايا فما عليك إلا أن تقرأ تاريخ الطبري أو الكامل لابن الأثير إلى غير ذلك من الكتب التاريخية المتعددة التي تدون تلك الحقبة.

والغريب من الطبري أنه عندما دون موت الإمام الرضا عليه السلام لفَّ لفة لولبية حيث قال إنَّ عليّ بن موسى بن جعفر أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة (تاريخ الطبري الصفحة رقم ١٥٠ المجلد السابع ط ـ بيروت).

وفي نفس الصفحة أشار الطبري إلى عودة المأمون إلى طوس ثم جاء بالخبر عن أكل العنب وموت الإمام الرضا عليه السلام وهذه القصة التاريخية نتركها لمن لديه مقدار من الذكاء والفهم حيث إنه لا تنطلي عليه الحقيقة والحقيقة لا تغطى بستار، ومهما غطيت ستنكشف وتتعرى للعقول قاتل الله السياسة فإنها غطت حقائق ودثرتها وراء جدار الزمن إلا أنها انتفضت فابتُعثت حيّةً على مدار العصور ونحن نعرض لمحةً لملوك الدولة العباسية وقد مررنا بهذا التاريخ مشهدا بعد مشهد فشاهدنا منظراً تاريخياً هو أحسن ما في عصر حكم هذه الدولة ألا وهو المأمون الذي جمع بين العلم والعقل والسياسة إلا أنه لا يخلو عصره من بطش وقتل وأكبر مثال هو قتل أخيه الذي خلعه عن ولاية العهد وأقام ابنه موسى وهو طفل فأعطى المأمون مبرراً لحربه وقتله، فكان الدور الكبير لطاهر بن الحسين في إرجاع المُلك للمأمون وهدم مُلك الأمين حيث بذل طاهر القائد الأول جميع مهاراته العسكرية في سبيل إنجاح المأمون ومن ورائه المستشار ذي الرئاستين الفضل بن سهل فعاد المُلك للمأمون وتغلب على أخيه وجميع الثورات التي

قامت ضد حكمه فالثورات بدأت من أول يوم أسست فيه هذه الدولة حتى انتهائها لم تخمد الحركات ولم تسكن حيث أن الظلم كان عنيفاً والجور ممتد على رقعة هذه المملكة الشاسعة التي ضربت أرجائها ومدت ظلَّها حتى إلى أوروبا فهي تملك الشرق والغرب ولم تبسط دولة ظلها كما بسطتها الدولة العباسية وهي تمد ذلك الظل باسم الإسلام، فإنها بلغت الأوج ولهذا كثر فيها الترف والخلاعة والمجون بما أنعم الله عليها بتلك النعمة حتى أن التاريخ حدّث بقضية غريبة في عصر الرشيد حيث جيء له بخراج أفريقيا فطلبته منه زوجته زبيدة فمنحها إياه كله ولم يستثنِ ولا درهماً واحداً هكذا كان الحكام يعبثون بهذه الثروة ثروة المسلمين غير آبهين لما يعقبه من أثمٍ أو تبعاتٍ ولنشاهد هذا الترف وهذه الميوعة والمجون في شعر الحسن بن هانىء (أبي نواس) وقبل أن ندخل إلى ديوانه ونعيش معه في ذلك العصر نشير إلى ظاهرة تختص بهذا الحكم وهي تقلص الدولة العباسية ومن ثم انقراضها حيث كانت في أواخرها تملك اسماً لا حكماً ويُعزل ويُقتل في أيامٍ أو أشهر عندما يشاء القواد الذين جلهم من الأتراك وقبل أن نتحاور مع أبي نواس ونعيش معه في لهوه ومجونه وفي حاناته ساعاتٍ نشير إلى ديوانه أنه ينقسم إلى عدة ألوان من الشعر وهو ثمانية ألوانٍ أعظمها وأبلغها شعراً القسم الأول الخمريات القسم الثاني الغزل القسم الثالث المديح القسم الرابع الهجاء القسم الخامس الرثاء القسم السادس العتاب القسم السابع الزهد القسم الثامن الطرد ونبدأ هذه الدراسة بالخمريات وما فيها من صور شعرية ووصف دقيقٍ في بلاغته في إبداعٍ وفصاحةٍ وإيجاز.



خمريات أبي نواس

أول خمسة أبيات من

قصيدة قصة ندمان

أيـا باكــيَ الأطــلالِ غيَّرهــا البِلــى

بكـيـتَ بعـيـنٍ لايجـفُّ لهـا غـرْبُ[1]

أتنعــتُ داراً قــد عَفَــتْ، وتغيــرتْ

فـإني لمـا سـالَمْتَ مـن نعتها حـرْبُ[2]

ونـدْمَانِ صِـدقٍ، بـاكرَ الـراح سـحرَةً

فأضـحى، ومـا منـه اللسانُ ولا القلـبُ

تأنَّيْتُــهُ كــيما يفُيــقَ، ولــم يُفِــقْ

إلى أنْ رأيتُ الشمس قد حازَها الغـرْبُ

فــقامَ يخــالُ الــشمس لمَّــا ترَحَّلَــتْ

فنادى «صَبُوحاً» وهْـيَ قد قَرُبَتْ تخبـو

---

(١) الغرب: الدمع أو مسيله.

(٢) عفت: أمحت معالمها – سالمت: صالحت – نعتها: وصفها

نريد أن نفتتح حديثنا بأول سيمفونية من شعر أبي نواس التي تمثل وتجسد هذا العصر الذي بلغ فيه الترف والخلاعة والمجون إلى أبعد الحدود فهذه السيمفونية تجسد لنا مشاهد ذلك العصر في شعر متحرك يهز الحياة ويمثل طبيعة هذا العصر فالشاعر هو الذي يجسد عصره فبدأ أبو نواس هذه السيمفونية بنعيه وإنتقاده على الذين يبكون الطلول؛ والطلول لا تسمع بكائهم أو ندائهم وحتى وقوفهم على تلك الأطلال ونعيها فهو يسخر من هذا الموقف ولا شك أن هذا الموقف هو تقليد للشعر الجاهلي ودرج عليه الشعراء الذين جاءوا في عصر الإسلام والعصر الأموي وأكثر شعراء العصر العباسي قبل أن تترجم موشحات الأندلس وأشعارهم وعندما ترجمت أعطت لوناً وزخماً للشعر العربي فأبو نواس بعد أن نعى على الذين يتباكون على الأطلال سار إلى حبيبه الخمر حيث قال في نعيه على الأطلال أيها الباكي على طللٍ بالٍ لا يحسُّ ببكائك وقد غيره الزمن القاسي فإنك تبكي بعين لا يجف غربها، وهنا أشرقت الصورة حيث وجه لومه في حرف قاسٍ إنك تنعى داراً لا أثر لها في الحياة ولا قيمة لها في المجتمع فإني حرب لما تنعاه وتوصفه و هذا تضييع لشعرك التقليدي وإهدار لوقتك الذي لا تنتفع به، ثم انتفض الشاعر فأخذ يصف ندمانه الذين ينادمونه على الكأس ويسكرون معه فهم ندمان صدق عنده فيما يحبونه لأنهم باكروا محبوبتهم في السَحَرْ فأغرق حبها عينهم وقلبهم حتى أخذته السكرة فأسكنت حواسه وحركاته، فلم يفق منها إلا عند غروب الشمس، ولم يحس هل هو في نهار أو ليل فطلب الصبوح ليعود لما بدأ فيه في السحر فهذه حياة أبي نواس وندمانه لا يفيقون من كأس إلا يعودون لكأس أخرى وهكذا حياة اللاهين الذين لا همهم إلا الكأس فهو ديدنهم.

قصيدة (مدَّعي الفلسفة)

دعْ عـنكَ لـومي فـإن اللّـوْمَ إغـراءُ

وداونـي بالـتي كانـت هـي الـداءُ[1]

صـفراءُ لا تـنزلُ الأحـزانُ سـاحتها

لـو مـسَّها حـجرٌ مـسَّته سـرَّاءُ

مـن كـفِّ ذاتِ حِرٍ في زيٍّ ذي ذكر

لهـا مُحِـبّانِ لـوطـيٌّ وزنَّـاءُ

قامـت بإبريقـها، والليـل مُعتَكِـرٌ

فـلاحَ مـن وجهـا فـي البيـتِ لألاءُ[2]

---

(١) يقصد بالداء أن إدمان الخمر وما تهيجه في النفس من الرغبة الملحة في شربها هو نفسه داء يتداوى منه بالشرب وخاصة حين تنقطع الخمر فيشعر مدمنها بصداع متواصل لا يزيلـه غيـر شرب كأس كما يقول الأعشى:

وكأس شربت على لـذة وأخرى تداويت منها بها

(٢) معتكر: مظلم - لألاء: بريق.

فأرسلت من فمِ الإبريقِ صافيةً

كأنما أخذُها بالعينِ إغفاءُ

رقَّتْ عن الماءِ حتّى ما يُلائمُها

لطافةً، وجفا عن شكلِها الماءُ

فلو مَزجْتَ بها نوراً لمازجها

حتى تَوَلَّدَ أنوارٌ وأضواءُ

دارت على فتيةٍ دانَ الزَّمانُ لهم

فما يُصيبُهمُ إلا بما شاؤُا

لِتلكَ أبكي، ولا أبكي لمنزلةٍ

كانت تَحُلُّ بها هندٌ وأسماءُ

حاشا لدرةَ أن تُبنى الخيامُ لها

وأن تَرُوحَ عليها الإبل والشاءُ

فقل لمنْ يدّعي في العلمِ فلسفةً

حفظتَ شيئاً، وغابت عنكَ أشياءُ

لا تحظر العفوَ إنْ كنتَ أمراً حرِجاً

فــإن حظركــه فــي الــدين إزراءُ

هذه القطعة من السيمفونيات التي ندرَ مثيلها في الشعر فشاعرها أبـدع فيهـا إلى أبعد الزخم والإبداع فهي منسجمة كموجة ماءٍ لا تُمَيَّـز فهـي متسلـسلة قطعـة واحدة مرتبطة بعضها ببعض وكان الشعر القديم يرى النقاد أن كـل بيـت مـستقل عن الآخر عكس عن النظـرة الحديثـة فـإن النقـاد يـرون وحـدة القـصيدة وكلـما توحدت القصيدة كانت أبدع وأبلغ وكأن أبا نواس يعـيش في هـذا العـصر القـرن العشرين أو الواحد والعشرين فجاءت قصيدته وحدةً متكاملة ولعلها مـن الـشعر المبتكر في تعبيرها وصورها الوصفية حيث أبدع في محبوبته الخمر التي لا ينفك عنها ولا ثانية من حياته فلنستمع له وهو ينـشد (دع عنـك لـومي) كأنـه يقـول يـا أيهـا الإنسان لا تلمني فإن لومك لي هو إغراء فهو يُلهبُ فيَّ الشوق واللهفة فجاء العجز منسجماً مع الصدر حيث خاطب نديمـه طالبـاً منـه الـدواء النـاجع حـسب رأيـه وتعبيره لنفسه التي يعبرون عنها النـاس بالـداء ثـم أوغـل في الوصـف والإبـداع فوصف أنها حمراء لا تنزل الأحزان ساحاتها ولو مسها حجرٌ لمسَّته الـسرَّاء وأخـذ يجسد ذلك العصر الذي بدأ فيه الانحراف وأعاد قوم لـوط فتطـوف علـيهم فتـاة لكنها تتزيَّ بزيِّ الذكور وهي لا تبالي بشرفها فهي تعطي مـن الجهتـين محـب قـوم لوط ومحب النساء هكذا بلغ هذا العصر في المجون والمنكـر ويفخـر الـشاعر بهـذه الفتاة التي هي تتزيَّ بزي الذكورة والأنوثة عندما قامت بالإبريق لتسقيهم سـطع من وجهها لألاءٌ، ثم أولج في بيانه وإبداعه ليصف صوراً لمحبوبتـه الخمـر عنـدما أرسلت من فم الإبريق صافيةً على رأي أبي نواس حتى سرت في الجفون فأغفتهـا،

واستمر في وصف صور الخمر حتى حلَّق وبالغ بحيث لو مزجت بها نوراً لامتزج معها وأشعلت أنواراً وأخذ في وصف ندمانه وإدارة الكؤوس عليهم فوصفهم أنهم فتيةٌ وأنّ الزمان خضع لهم فلا يصيبهمِ كدرٌ ولا سوء ولا أستطيع أن أعلل هذا الوصف إلا لحب أبي نواس للخمر الذي خرج به إلى مجانبة الواقع حيث إن المرء في هذه الحياة لا يدين الزمان لطوعه ولو كان ملِكاً، وختم سيمفونيته بعد وصف الخمر ووصف سهرته مع ندمانه، في تعنيف بعض الشعراء أو الأدباء الذين يبكون لحبيبتهم إنما هو يبكي للخمر لا لشيء آخر وكان في الختام زخم حيث إنه أخذ يخاطب الفلاسفة بمنطقه قل من يدّعي في العلم فلسفةً فإنه لا يحيط بجميع العلم قد يحفظ أشياء وتعزب عنه أشياء وهذا تعبير فصيح واقعي وانتهى إلى النهي عن منع العفو من الله إن كنت امرأً متحرجاً فإنّ منعه لا يقره الدين الإسلامي حيث الدين يسر وليس عسر.

قصيدة (لا تسقني سراً)

ألا فاسقني خمراً، وقل لي هيَ الخمرُ

ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ

فما الغَبْنُ إلاّ أن تراني صاحياً

وما الغُنْمُ إلا أن يُتَعتعني السكرُ[1]

فَبُحْ باسم من تهوى، ودعنى من الكنى

فلا خير في اللَّذَّات من دونها سِترُ

وخمَّارةٍ نبَّهتُها بعد هجْعَةٍ

وقد غابت الجوزاءُ، وارتفع النّسرُ

فقالت «من الطُّرَّاقُ؟» قلنا «عصابة

خفافُ الأداوَى يُبتَغى لهمُ خمرُ[2]

---

(١) يتعتعني: يحركني بعنف.

(٢) الطرّاق: الطارقون ليلاً ـ الأداوى: أوعية الخمر ـ يبتغي: يطلب على البناء للمجهول.

ولا بــدَّ أن يزنــوا «فقالــت»: أو الفــدا

بأبلَــجَ كالــدينار فــي طــرفه فَتّــرُ

فقــلنا لهــا: «هاتــيهِ. مــا إن لــمثلنا

فــديناك بالأهلــينَ عــن مثــلِ ذا صــبرُ

فــجاءت بــه كالبــدر ليلــةَ تِمّــهِ

تخــالُ بــه ســحراً، ولــيس بــه ســحرُ

فقمــنا إلــيه واحــداً بــعد واحــدٍ

فكــان بــه مــن صــوم غربتنــا الفطــرُ

فبتــنا يرانــا الله شــرَّ عــصابةٍ

نجــرِّرُ أذيــال الفــسوق ولا فــخرُ

أيها القارىء وقفة تأملية معي لنشاهد العصر العباسي يتجسد في هذه القطعة المجونية الخليعة التي تعرَّى فيها هذا العصر متمثلاً في أبي نواس وعصابته، وهل الشعر مرآةٌ لعصره تنعكس عليه ظلاله وألوان دروبه في صورٍ كأنك تشاهدها وتعيش ذلك العصر.

الشعر الذي يمثل عصره هو الشعر الذي أثَّر في ثقافة الشاعر وانطبع بألوان بيئته وما فيها من خير إن كان هناك خير ومن شر وأحسبه أكثر ما يتجسد في هذه البشرية الجحودة بنعم الله التي لا تشكر هذا الخالق الرازق

وتعصي بنعمه ولا أحد يعصى بنعمه إلا الله المالك كل شيء القدير على عبيده الرحيم بهم، فبعد هذا الحرف وما فيه من إشارات لذلك العصر نتحدث عن هذه القطعة السيمفونية التي إذا نظرتها بمنظار البلاغة والشعر والفصاحة كانت في الذروة برغم ما تمثله من استهتار بالقيم المعنوية وبالمثل فوقفةً لنتحدث عنه بدأ الشاعر بمجاهرة عنيفة يطلب من ساقيه أن يسكب له الخمر ويسقيه ويهتف له أنني أسقيك خمراً، ولعله يريد أن يجمع في استهتاره جميع اللذات النظر والشرب، الإحساس والصوت والسمع غير هيَّابٍ بالحكام أو المسؤولين الذين يديرون دفة الحكم، ويبدع الشاعر في تصويره مجاهراً بفسقه فيرى خسارته التي لا تعوض في أيامه إذا رؤي صاحياً غير سكرانٍ والغنم أن يظل سكراناً لا يفيق من كأس إلا على كأس، وفي رأي هذا ضياعٌ وإهدارٌ لثواني العمر فضلاً عن ساعاته وأيامه ثم يهتف الشاعر إنه لا يريد التكنية عن لذاته بل يريدها مهتوكة الأستار عارية الملامح فهو لا يهدأ ولا يستلذ بمعاقرة كأسه إلا على دنياه المكشوفة، وبعد تصريحه ولج إلى الصورة الوصفية لليلته الحمراء عندما طرق باب الحانة فأيقظ صاحبة الحانة وعندما استنكرت إطراقهم في ذلك الليل خفف من خوفها بأنهم عصابة خفيفي الظل والأداوى جاءوا ليلهوا ويلعبوا، وكان أسلوبهم غير محتشم فيه من الفسق حيث يخاطبونها بكلمة لا بد أن يزنوا فتجيبهم لمعرفة هذا العصر وميوله فقالت لهم إنني سأفدي ما تطلبونه بفتىً أبلج في حسن الدينار على حسب التعبير الشعري فكانت فرحتهم بما يحبونه ويشتهونه كقطارات الندى على ثغور الزهور، فتجسدت هذه الفرحة في لهفة عارمة في طلبهم إحضاره وفداءه بأهلهم وما يملكوه، وقد جسد

الدعارة البيتان الأخيران عندما جاءت به وهو كالبدر عند اكتماله فتعاقبه واحد بعد واحد بدون خجل أو استحياء، فرووا شهوتهم العارمة التي بها صيام والصيام يعقبه الفطر، ثم يختم هذه السيمفونية بمشهد يصف فيه صورتهم الشريرة فهم باتوا على أشر عصابة والله مطلع عليهم وهم على فراش من العار والخزي وهذا اعتراف صريح من دون مواربة.

****

قصيدة (حد الخمر)

بكـيتُ ومـا أبكـي علـى دِمَـنٍ قـفْر

وما بيَ من عشقٍ فأبكي من الهجـرِ[1]

ولــكن حــديث جاءنــا عــن نبينــا

فذاكَ الذي أجـرى دُمـوعي علـى النحـرِ

بِتَحـريمِ شـربِ الخمـر، والنهـيُ جاءنـا

فلمّـا نهـى عـنها بكـيتُ علـى الخمـر

فأشــربها صــرفاً، وأعلَــمُ أننــي

أُعَــزَّرُ فيهـا بالثمـانين فــي ظهـري[2]

وقفة مع أبي نواس لنتحدث معه حديثاً تحاورياً في حروف صاغها ولكنني قبل أن أحلل هذه القطعة أريد أن أخاطبه ماذا يقصد في التحليل

---

(١) الدمن: آثار الدار والناس بعد ارتحالهم

(٢) أعزَّر فيها: أضرب ـ والثمانين: حد شارب الخمر.

والتحريم وهو يخالف النص جهرةً هل هذا من باب السخرية وأستغفر الله أو هو من باب التمرد والعصيان على الخالق فهو يبكي ولكنَّ دموعه ليست على الأطلال البالية ولا من هجران حبيبه ولكنه يبكي للحديث الذي جاء عن الرسول ﷺ بتحريم الخمر ونسي النص القرآني الذي جاء بالتحريم ثم يذكر الحد ويشربها غير مبالٍ فماذا نقول لشاعرٍ متمردٍ يجاهر بالعصيان ويكتب الشعر فيما حرمه الله ولا يطاله عقاب الدنيا لأن المسؤولين الذين هم في عصره يمارسون ما يمارسه في خفية بدون جهارٍ.



قصيدة أطلال حانة

ودارِ نَدَامى عطّلوها، وأدلجوا

بها أثر منهم جديد ودارسُ[1]

مساحبُ من جرّ الزِّقاقِ على الثرى

وأضغاثُ ريحانٍ جَنيٌّ ويابسُ

حبستُ بها صحبي، فجدَّدتُ عهدَهم

وإني على أمثالِ تلك لحابسُ

ولم أدرِ من هم؟ غيرَ ما شهِدَتْ به

بشرقيِّ ساباطَ الديارُ البسابسُ

أقمنا بها يوماً، ويوماً، وثالثاً

ويوماً له يوم الترحلِ خامسُ

---

(١) أدلجوا: ساروا من أول الليل ـ دارس: من درس الرسم عفا وتغير.

تُـــدار علــينا الـــراح فـــي عـــسجديةٍ
حَبَتْهــا بــألوانِ التــصاوير فــارسُ[٢]

قـــرارتها كـــسرى، وفـــي جَنَبَاتهـــا
مهـــاً تَـــدَّريها بالقـــسيِّ الفـــوارسُ[٣]

فلِلـــخمر مـــا زُرَّتْ علـــيه جيوبُهـــا
وللمـــاء مـــا دارت علـيــه القلانـــسُ

أيها القارئ العزيز وقفة معي تأملية لهذه السيمفونية السحرية فقد صيغت من صور شاعرية تجسد حياةً مرت بأقوامٍ لاهين لا يعرفون من الحياة إلا ما طفى منها من لذات شهوانية تنمحي بإنتهاء ساعة لهوها ويبقى أثرها على فاعلها وعقوبتها بعد الموت أضعاف أضعاف لذتها، ولا يتذوقون ويصلون إلى عمق جوهر الحياة الذي هو ألذُّ من شهواتها المادية، ولكنها في البلاغة والتصوير ارتفعت إلى ذروة الفصاحة والفن والتعبير، وقلَّ أمثال هذه القطعة الوصفية في بابها ولعلنا نقتبس من حروفها المبطنة بموعظة تشير إلى دار ندامى عطلت بعد رحيلهم وأدلجوا أي ساروا في ليل مظلمٍ ولكنه بقي أثرهم صورةً مجسدة في مساحب جر الزقاق وفي الريحان الغض

---

(٢) في عسجدية: في كؤوس عسجدية والعسجد الذهب.

(٣) تدريها: تختلها لتصطادها من غير أن تشعر.

واليابس ففيه صورة عِبرَة للحاضرين إن اعتبروا، ولكنّ أبا نواس وندماه لم يعتبروا ما شاهدوه من آثار الغابرين فحبسوا أنفسهم ويفخرون بذاك الاحتباس، وبرغم أنه لا يعرف الذين مضوا والذين بقوا معه إلا أنه أقام بها ثلاثة أيام ويوم له ويوم الترحل خامس فأسبوع قضوه في تلك الدار يلهون لا يفيقون من كأسٍ إلا إلى كأس، فهي تدار عليهم في كؤوس من ذهب وقد عُدَّت هذه الكؤوس للحُميَّا من صنع الفرس في قراراتها صورة كسرى ملك الفرس وفي جوانبها صور فتيات تدَّريها الفوارس بالقسيّ، فيه مقسمة لقسمين فللخمر ما دارت عليه أزرَّت جيوب الفتيات وللماء ما دارت عليه القلانس فهذه الصورة الرائعة التمثيلية في حرفٍ بليغٍ وصفيٍّ يصف لك المشهد ويجسده لك كأنك تعيش معه وتبصره.

قصيدة قصة الأمم

يـــا شـــقيقَ الـــنفسِ مـــن حَكَـمِ

نمـــتَ عـــن ليلـــي، ولـــم أنـــمِ

فاســـقِني الـــخمرَ التـــي اختمـــرَتْ

بخــــمار الــــشَّيب فـــي الـــرحِمِ

ثُمَّـــتَ أنـــصاتَ الـــشبابُ لهـــا

بعـــد مـــا جـــازَتْ مـــدى الهَـــرَمِ

فـــهي للـــيومِ الـــذي بُزِلَـــت

وهـــي تِـــربُ الـــدهرِ فـــي القـــدمِ

عُتِّقَـــتْ حـــتى لـــو اتَّـــصلتْ

بلــــسانٍ ناطــــقٍ، وفــــمِ

لاحْتَبَـــتْ فـــي الـــقوم ماثلـــةً

ثـــم قـــصَّت قِـــصةَ الأمـــمِ

قَرَّعـــتها بالـــمزاجِ يَـــدٌ
خُلِـــقَتْ للـــكأسِ والقلـــمِ

فـــي نَـــدامى ســـادَةٍ نُجُـــبِ
أخـــذوا اللَّـــذاَّتِ مـــن أَمَـــمِ

فَتَمَـــشتْ فـــي مفاصلـــهم
كتَمَـــشِّي البُـــرءِ فـــي الـــسَّقمِ

فَعَلَـــتْ فـــي البيـــت إذ مُزِجَـــتْ
مثـــلَ فِعـــل الـــصُّبحِ فـــي الظُّلَـــمِ

فاهتـــدى ســـاري الظـــلام بهـــا
كاهـــتداء الـــسَّفرِ بالعَلَـــمِ

وقفة معي أيها القارئ الحكيم لتشاهد منظراً تجسيدياً تحسُّهُ وتلمسه وتراه، إنَّ من الوصف لأعجوبة من العجائب فالشاعر هنا بلغ حد الزخم في هذه السيمفونية ومنتهى ذروة التصوير إنك لا تعثر إلا على ندرة كمثل هذا التصوير وهذه الموسيقى المنسجمة لفظاً ومعنىً وتصويراً ولحناً تحس له كهمس نسائم الربيع إذا مرّت بَلِيْلَةً على وجهك وقلبك، فادخل معي لنزيح الستار فنشاهد هذا المشهد فنتحدث مع منشئ هذه القطعة في أول

تعبير تصويري حيث يخاطب محبوبه فهو شقيق نفسه، وجرد منه حكماً ولكنَّ هذا الحكم لبس النوم في ليله إلا أنَّ محبوبه لم ينم، وهل بعد هذا التعبير تعبيرٌ أقرب من شقيق النفس، ويهتف به ليسقيه محبوبته بعد أن اختمرت في رحمها وشابت فكل ما تقدم بها العمر فهي بعكس الفتاة التي تفتن إذا كانت شابة في ميعة الصِبا، وهناك الشباب يرغبون لها وهي في عمر الشيخوخة الهرم هل هذا التعبير يطابق الواقع عند أرباب الكأس هم أعرف بذلك، فهي في اليوم الذي فُتح دنُها بالبُزال هي ترب للدهر في القدم وإن كانت يوم فَتح دنها في جدتها هي كالدهر في قدمه، ويوغل في وصفه فيشير إلى قِدَمها حتى كأنها تحدثنا بلسانٍ من فمٍ عن أحداث الحياة، ويتحدث في وصفه التصويري أنّ اليد التي مزجتها هي يد مخلوقة للكأس وللقلم أي للفكر، في مجتمعٍ هم كالنجوم ينهبون اللذات من كل صوبٍ وحدب، وهنا نقف أمام هذا المقطع التصويري الذي بلغ في تعبيره ذروة الفصاحة والتصوير فجعل الخمر تسري في مفاصلهم كما تسري الصحة في جسم السقيم وهل هذا من الشوق الذي بلغ بأبي نواس الهوس حتى جعل الخمر بمنزلة البرء من السقيم، وهي بعكس ذلك إنما تحطم جسم السليم، وتُقصِرُ من أيام عمره ولهذه الأسباب حرّمها الإسلام، وإن كان التشريع لا يرتبط بسبب واحد إنما هناك أسرار تخفى على العبيد، ويختم سيمفونيته بوصفٍ لخمرته أنها أضاءت في البيت كما يضيء الصباح في الظلام فيمحوه حتى أصبح ضوئها يهتدي به الساري في الليل إلى كل عَلَمٍ أو مكان.

قصيدة العيش في اللذات

لا الـصَّولجانُ ولا الميـدان يعجبنـي

ولا أحِـنُّ إلـى صـوتِ البواشِـيقِ

لكنمـا العـيشُ فـي اللـذات، متكـئاً

وفـي الـسماع، وفـي مـجِّ الأبـاريقِ

فنتحاور مع أبي نواس ونتحدث معه في سيمفونية أخرى ولكنها لا تخرج ولا تبتعد عن وصف الكأس وتصوير هذه اللذات فهو لا يعرف غير الكأس والوتر فهو لا يعجبه شيءٌ في الحياة لا صولجان ولا ميدان، ولا يحن إلى أصوات البواشيق إنما حنينه وشوقه للكأس وحسبه الكأس، فعيشه لهو ومُتَع ومج أباريقٍ هكذا عيشة اللاهين المستهترين.

قصيدة سقاني

سـقاني مـن يديـه، ومقلتيـهِ
مـن الـرّاح المعتَّـقِ شـربتينِ

فـبتَّ مُرَنَّحـاً مـن شـربتيهِ
صـريعاً، قـد مُنِيـتُ بكَـرْبتينِ

هـلالٌ مـشرقٌ، بـدرٌ لِتـسعٍ
وثالـثةٍ مـضت ولليلتـينِ

يُـديرُ مـن المدامـة بنـتَ سـبعٍ
وواحـدة مـضتْ بعـد اثنتـينِ

أقـولُ لـه، وقـد طـردتْ كرانـا
أدرِهـا، واسـقنا بـالرَّاحتينِ

وقفة مع الشاعر النواسيّ لنتحدث معه ولكنه لم يأتني بجديد في تصويره لحبيبته الحُميَّة فهو ضرب في وصفه لها الصور الرائعة التي تكررت

في عدة صور وأساليب قد تتوافق صورها وتتحد وقد تختلف اختلافاً كلياً وقد يكون جزئيا فهو شاعر الحُميَّة والكأس حتى قيل لا يكون الشاعرُ شاعراً حتى يحفظ خمريات أبي نواس وحجازيات الشريف وروميات أبي فراس الحمداني وهذه مقالة لا أطمئن لها فالشعر موهبة وعبقرية تنبت كما تنبت البذرة تنشق عنها الأرض فتذيع عطرها لأمر خالقها الذي فطرها وفطر جبلة الإنسان وعبقريته لا شك أن للثقافة دوراً في صقل العبقرية وتهذيبها، فلنقف مع هذا الشاعر النواسيُّ فنحن لا نخرج معه من مشهدٍ إلا إلى مشهد تصويريٍّ آخر فيه صورٌ من لياليه الحمراء ودنه وكأسه، فلنلج إلى هذه السيمفونية ونزيح الستار لنشاهد ذلك المنظر فاسمعه يتحدث حديث الروح للروح مع حبيبه فهو يشرب من يد حبيبه ومن مقلته ومن حبيبته الراح المعتق شربتين، ولكنه بات مصروعاً مترنحاً من شربتيه شربة المُقَلْ وشربة الخمر قد أصابته كربتين، والشربتان من كف هلال لا يزال في العنفوان لم يتجاوز الليلتين وهذا المعنى لعله اقتبسه من مجنون ليلى حيث يصور حبيبته ليلى لم يؤثر عليها الزمان فهي لم تزد إلا أصبع في طولها فهو يتصورها بين عينيه لا تزال طفلة ترعى معه الأغنام، وكان حبيبه يدير عليهم كأساً من راحٍ أكبر منه عمراً وسناً فهي تتجاوز عمره إلى عشر سنين أو أكثر بينما ذلك الحبيب الذي يدير الكأس لم يتخطى الليلتين، فأخذته النشوة وخاطب حبيبه طالباً منه أن يدير الكأس بالراحتين وقد ولى عنهم النوم فهم في حياة مُتَعيَّة لاهية.

قصيدة قافلة

وســيَّارةٍ ضَلَّــتْ عــنِ القــصدِ بعــدما

تَرَادَفَــهُم أُفــقٌ مــن الليــل مُظلِــمُ

فأصــغوا إلــى صــوتٍ، ونحــن عــصابةٌ

وفــينا فــتىً مــن سُــكرِهِ يتــرنَّمُ

فلاحَــتْ لهــم منــا علــى النــأي قهــوةٌ

كــأنَّ ســناها ضــوءُ نــارٍ تَــضَرَّمُ

إذا مــا حَــسَوْناها أقامــوا مكــانهم

وإن مُزِجَتْ حَثُّوا الرِّكابَ ويمَّــمُوا

وقفة نتحاور مع شاعر المجانة والخمر الذي هام في حب الكأس وكتب فيها صوراً من الشعر ناطقة حتى قال بعض الأدباء والنقاد القدامى لا يكون الشاعر شاعراً حتى يحفظ خمريات أبي نواس وحجازيات الشريف الرضي وحكميات أبي تمام وأشعار الضليّل أمرئ القيس، وهذه المقولة أو

هذا الرأي سواءً كان واقعياً أو غير واقعي، فقد سبق مقولتي في تفنيده وعدم الاطمئنان له في هذا الكتاب في شرح قطعة لأبي نواس آنفاً، وقد أشرتُ لمرئياتي في تعليقي على بعض نصوص أبي نواس لرأي النقاد القدماء في حفظ الشعراء الذين أشرنا لهم.

وشعر أبي نواس الذي جسد ذلك العصر الخليع ولعل أبا نواس نبع له هذا الحب حب الكأس من ذلك العصر الذي طغى فيه الترف وغطى فيه النعيم على أصحاب البلاط وأرباب القصور الذين يتمسحون بذيل الحكّام فهو ربيب القصور والولد المدلل لا سيما عند الأمين بن هارون الرشيد، وكان ذلك العصر طغى فيه النعيم وطغى فيه البؤس فتشاهد صوراً متناقضة ومناظر حزينة باكية فبائس إلى جنب بيدر نائم تحت ظلال القر ومترف صريع إلى جنب زِّقْ، هكذا الحياة في عصر أبي نواس، فنتحاور معك يا أبا نواس ونقضي هذه السهرة معك فأنت تعيش في لذَّةٍ بيكورية وأنا لا أطيق هذه اللذة وأنفر منها، وإني معك على صورتين متناقضتين وبرغم هذا وذاك سأتحاور معك وأكتب عن شعرك، فنبدأ السهرة معك في شعرك البديع المصور الذي يلج على القلوب بدون استئذان بعذوبة لفظه ولحنه وتصويره البليغ دعاني أن أكتب عنك وعن عصرك فنبدأ بهذه السيمفونية فنحللها بيتا بعد بيت:

وهنا نقف حول هذه القافلة فنجد تعبيرا بليغا وسيارة تاهت عن الطريق ولكنها ترادفهم أفق وما هو الأفق.. أفق من الليل البهيم وتأمل الصورة الشعرية التي ألفها شاعرها ترادفهم أفق كيف أعطت زخماً وصورة متحركة تسحر النقاد، وكأنما هذا التيه نبههم على صوتٍ حبيب إلى قلوبهم

رغم أن معهم فتىً يترنح من السكر لا يكاد أن يفيق ولا أعلم هذا هو
لشاعر نفسه أم يشير إلى فتىً غيره، وفجأةً أفاقوا على قهوةٍ تشق أنوارها في
فق مبطن بالظلام فدلهم ذلك الضوء على ما يشتهون، ويصور الشاعر
عندما عثروا على أنشودتهم وهم يقيمون بها إذ قدمت لهم الكأس صرفة
ير تحلون إذا مزجت كأسهم بماءٍ وهذه صورةٌ لا يعرفها إلا أولئك
لخمارون، أما أنا لا أتذوق هذا الطعم ولا هذا اللون بل أنفر من هذه
الصورة البغيضة.

****

قصيدة أبيض بسَّام

يـــا ربَّ ليـــلٍ بـــتُّ فـــي نعمـــةٍ

عـــند فـــتى أبـــيضَ، بـــسَّامِ

بجنـــبِ ســـاقٍ حَـــسَنٍ وجـــهُهُ

فـــي الـــسَّقْيِ، عـــدلٍ، غيـــر ظـــلاَّمِ

قـــد بـــاتَ يـــسقينيَ دِرياقـــةً

ســالـــتْ مـــن الإبريـــقِ فـــي الجـــامِ

ولا نزال في سهرتنا مع الشاعر الماجن فنتحاور معه في صورة يكررها الشاعر ولكنها تختلف من صورة إلى أخرى، فهنا الشاعر يصف ليلة من لياليه وهو في ليلة بات فيها مع غلام أمردَ باسم الثغر فهو يعتبر نفسه في نعمة لا نقمة، ويعتبر هذه النعمة أن بجنبه ساقٍ يسقيه عادلٍ غير ظلاّمٍ، فهو يسقيه حتى يرتوي من تلك الدرياقة يسكبها ذلك الساقي من إبريقه إلى الكؤوس فيعب منها ما حلى له.

قصيدة أنضاء الكأس

وفتـــيةٍ كـــنجومِ الليــل أوْجُهُـــهُم

مـــن كــلِّ أغـــيدَ للـــغَمَّاءِ فـــرَّاجِ

أنــضاءِ كــأسٍ، إذا مــا الليــل جَــنَّهُم

ساقتْـــهُمُ نحوهـــا ســـوقاً بإزعـــاجِ

طرَقــتُ صــاحبَ حــانوتٍ بهــم سَـحَراً

والليــلُ مُنــسدِلُ الظَّلــماءِ كالــسَّاجِ

لمــا قــرعتُ علــيه البــابَ أوجَلَــهُ

وقـــال بـــين مُـــسِرٍّ الخـــوف والرَّاجـــي

«مــن ذا؟» فقلـــت: فتـــىً نادتـــه لذَّتُـــه

فلـــيسَ عنهـــا إلـــى شـــيء بمُنعـــاجِ

افــتح! فقهقهــه مــن قــولي، وقــال لقـد

هيَّـــجتَ خـــوفي لأمـــرٍ فيـــه إبهـــاجي

ومــــرَّ ذا فَـــرَحٍ، يـــسعى بِمـــسِرَجَةٍ

فاســـتلَّ عـــذراءَ لـــم تبـــرُزْ لأزواجِ

مـــصونةً حَجَّبوهـــا فـــي مُخَـــدَّرِها

عـــن العيـــون لكـــسرى صـــاحب التـــاجِ

يُـــديرُها خَنِـــثٌ فـــي لـــهوه، دَمِـــثٌ

مـــن نـــسلِ آذيـــن، ذو قُـــرْطٍ ودُوَّاجِ

يُـــزهى علـــينا بـــأن الليـــل طُرَّتُـــهُ

والـــشمس غُرَّتُـــه، واللـــونُ للعـــاجِ

والـــدهر لـــيس بـــلاقٍ شَـــعْب مُنـــتَظِمٍ

إلاّ رَمـــــاهُ بتـــــفريق وإزعـــــاجِ

فلنبقى نتحاور مع هذا الشاعر في هذه السهرة وندخل معه في سهرةٍ لكنها ليست كسهراته بين الكأس والغلمان إنما هي سهرة تحاورية نحلل فيها هذه الصورة التي صاغها شاعرها من الفن وسكبها في إبداعٍ يخلب العقول، فنبدأ بهذه السمفونية حيث تتحدث عن ندامى أبي نواس فإنهم فتيةٌ أوجههُم كنجوم السماء في إنارتها وفي جمالها، فهم يغرقون الليل في

الكأس ويسوقهم الليل إلى كأسهم في انزعاج ولهفة إلى ذلك الكأس، فسار أبو نواس بهذه العصابة في حرية تجسد عصر الدولة العباسية التي ينطلق فيها الخمارون بحرية وبدون مراقبة حتى وصل إلى حانوتٍ فأطرق على من فيه وهذا الحانوت لعله حانة من الحانات عبر عنه باسم الحانوت في ذلك الليل الذي بسط ظلاله على سماء المدينة فغطاها بظلامه الدامس، فأخافته تلك الطرقات فعاش بين السرور والرجاء والخوف ولكنه عندما عرف الطراق سُرَّ بهم وجاء يسعى لهم ليحظى بهذه العصابة، فكان الجواب من تلك العصابة يسكن روعه إنه فتىً قادته لذته العمياء فهو لا يتزحزح عنها ولا ينعاج عن طريقها، وأتبعوا طرقاتهم بنداء افتح لنا الباب فكان جواب صاحب الحانوت القهقة من الفرح بقولٍ أنك أهجتَ خوفي ولكنّ هذا الخوف فيه سرور لي، لأن تلك الطرقات كانت في هزيع الليل فهي مخوفة ولكنه سرَّ بها، فسعى لهم على الأقدام وقدم لهم ما يحبون وهي على وصف أبي نواس في فرح وسرور وفي يديه شمعة تنير فاستل لهم عذراء لم تفتح فهي بكرٌ لأنها ليست بصاحبة زوج، ويوضح الشاعر أبو نواس إنها لم يطمثها قبلهم زوج لأنها مصونة محجوبة في دنها عن العيون قد أُدخرت لأصحاب التيجان كمثل كسرى وأمثاله، فتأمل معي هذا البيت فقد تكررت هذه الصورة في شعر أبي نواس فيدير عليهم الكأس ومن ذا الذي يديرها.. يديرها خنثٌ يتثنى في لهوه الدمث وهو من نسل آذين ولكنه يتحلى بزي الأنثى ففي آذانه أقراط وهذا هو العصر الذي يمثله الشعر النواسيّ ففيه يتزيَّ الرجل بزي الأنثى والأنثى بزي الرجل، وأحب أن أشير هنا إلى ظاهرةٍ طغت في شعر أبي نواس وهي الشعوبية طالما يتغنى بأمجاد الفرس

ويهجي العرب، فهذا المخنث المدلل يفخر عليهم بطرته السوداء التي هي كالليل التي تفتن العيون وبوجهه الصبيح الذي يشرق كالشمس وباسمه الذي صيغ من العاج، الشاعر يختم القصيدة ببيت فيه عبرة ولكن أين المعتبر فالدهر يبدد الشمل لأنه لا تغمض له عين عندما يرى شعباً منتظماً في سلك واحد إلا رماه بالتفريق والتشتيت فلنخاطب شاعرنا أبا نواس لماذا لم تتعظ قبل أن يبدلك الدهر ويرميك بقوسه؟ وقد قيل أنك ندمت على ما فرطت وتبت والله أعلم بذلك فإنني لا أنفي هذه الرواية ولا أصدقها فهي متروكة لحكم التاريخ والواقع المجهول الذي لا يعلمه إلا من خلقني وخلقك.

****

قصيدة أربعة

أربعـــــةٌ يـحـيـــــا بـهـــــا

قـلـــــبٌ، وروحٌ، وبـــــدنْ

الـمـــــاءُ والـبـــــستانُ والـــــ

ـــخمرةُ، والوجــه الحــسنْ

وقفة مع الشاعر النواسيِّ في هذا المقطع الوصفي السحريّ فهو يضع في هذا الحرف دواءً تحيا به الأرواح والقلوب وهو في مقياسه الأدبي أربعة التي تحيا بها وهذه الأربعة هي الماء والخضرة والحميًّا في عرفه والوجه الحسن قد تكون الثلاثة ما عدا الحميا هي معشوقات لأكثر شريحة من البشرية.

أول عشر أبيات من

قصيدة ليلة وخمر..!

يـــا ليلـــةً طـــابَ لـــي بهـــا الأرَقُ

حـــتى بـــدا مـــن صـــباحِها الفَلَـــقُ

نُـــسقى سُـــلافاً مـــن بنـــتِ دســـكرةٍ

مـــا شـــابها فـــي دِنانِـــها الرَّنَـــقُ

اختارهـــا فـــي الـــقِطافِ ســـائِمُها

حُـــمراً وسُـــوداً، كأنهـــا الحـــدقُ

حـــتى إذا فـــي الحيـــاضِ صـــيَّرها

خالطـــــها الـــزَّعفرانُ والعلَـــقُ

حـــصَّنَها فـــي الحيـــاض؛ فاحتجبـــتْ

مـــا راعهـــا رهـــبَةٌ، ولا فَـــرَقُ

خمـــسين عامـــاً حتـــى إذاهـــرِمَتْ

واخـــضرَّ مـــن نبـــتِ بنتِهـــا الـــورقُ

أتـــوا بهـــا فـــي الحِبَـــابِ يخفُرهـــا

مـــشْيٌ هـــوَيْنى، مـــا إن بـــه نَـــزَقُ

فـــــبادروا لافتِـــــضاضِ عُـــــذرتِها

بنـاقـــدٍ فـــي شـــبَاتِه زَلَـــقُ

فـــسال منهـــا مثـــل الرُّعـــاف دمٌ

يُـــشفى بـــه مـــن ســـقامه الـــصَّعِقُ

نازعـهـــا ســـادةٌ غطـــارفةٌ

كأنـــهمْ مـــن شقيـــقةٍ شـــقَقُوا

ونقف مع الشاعر النواسيّ لنتحاور معه في سهرته على مائدته الحمراء اللهم جنبنا تلك المائدة وابعدنا عنها، إنما التحاور على مائدة الفكر وفي أفق الشعر والأدب فنبدأ الحديث فنحلل في دراستنا لهذه القطعة إن أبا نواس سهر حتى طلع الفلق وشعَّ بأنواره ولا يزال تعرف أجفانه أصابع السهد وهو يُسقى كأسا من سلاف من بنت دسكرة وهو نوع من الخمر لم يشبها في دنِّها رنق، وهو يصور من أين ولدت وكُونت من عنب متلون من أسود وأحمر وكأنه عيون الحدق، وكيف وُضعَ ذلك العنب في تلك الحياض حتى تعصر منه الخمر، فهو يتصورها وهي في الحياض كأنها الزعفران أو العلَق، والغريب من أرباب الكأس يتغنون بتعتيق الخمر وبطول عمرها

وبشيخوختها وهل هذه الأغنية هي تقليدية أصلها أنَّ شاعراً أو خماراً كالا لها هذا المدح فجاءت تتبعه القوافل على هذه النغمة تصوروا معي هل المعتق يكون له لذة كلذة الطري أنا لا أتصور ذلك ولعل عند أرباب الكأس سرّاً هم أعرف به ويستمر أبو نواس في أغنيته على محبوبته الحُميًا والكأس، فهي لقدمها وعتقها محجوبة في الحياض حتى لطول ذلك الحجاب نبت منها الورق المخضر لأنها عاشت خمسين عاماً وهي محتجبة فشابت وهرمت ومع ذلك يتغنون بهذا الهرم والشيب، ولهرمها جاءوا بها يتمشون الهوينى ليسكبوها في كؤوس شفافة تطفو حبابها على شفة الكأس وليس بهم في مشيهم نزق ولا طيش فهم يسيرون في خضوع وهوينى، ففضوها وهي عذراء لم يذقها من قبلهم أحد فكانت كأبكارٍ تقدم لذوي الكاسات اللاهين الغارقين في مجونهم المضيعين لحياتهم، فتراها يسيل منها مثل الرعاف، ولكنه ليس بالرعاف المعهود؛ إنما هو خمر يُشفى بها من السقام الصعِكُ في عرف أبي نواس الذين ديدنهم وهواياتهم الكأس ومن كان مدمن عليها.

قصيدة يهودية

الـــشُّربُ فــي ظُلَّـــةِ خمَّـــارِ

عنــدي مـــن اللَّـــذاتِ يـــا جــاري

لا ســـــيما عــــــند يهـــــوديَّةٍ

حــــوراءَ، مثـــل القمـــر الـــسَّاري

تـــسقيك مـــن كـــفٍّ لهـــا رطبـــةٍ

كـأنهـــــا فلـــــقة جُـــــمَّارِ

حتـــى إذا الـــسُّكرُ تمـــشى بهـــا

صــــارَ لهـــا صَـــولةُ جبَّـــارِ

وقفة معي يا قارئي لنتحاور مع الشاعر النواسيِّ ونتحدث معه عن صور لياليه الحمراء الماجنة التي تفنن فيها في أسلوبه الشعري فرسم لنا لوحات فنية عليها طابع السحر فتصور معي هذه السيمفونية التي صور فيها ليلة قضاها في ظل خمار فهو عنده أثمن لذة ولا سيما إذا كانت الساقية

يهودية فما أكثر هذه الليالي في زمان الدولة العباسية التي دلنا عليها شعر النواسيِّ وتكررت في لوحاته الفنية فهو يصف هذه اليهودية بأنها في جمالها وحسنها كالقمر، وهي تسقيه من كفٍّ ناعمة رطبة كأنها جمار رطب مخضوضر وهو قلب النخلة.. النخلة التي تغذي الساغبين وتشبع الجائعين، ويرسم لنا صورة لهذه الساقية اليهودية عندما سكرت كيف أخذ منها السكر حتى حولها إلى صورة جبار طاغٍ والسُكر لا يقف بشاربيه عند حد من الحدود لأنه يفقدهم عقولهم وكفى به نقص إذ يخرج الشخص عن إنسانيته فما تدري ماذا يفعل وهذا النقص لو فكر محتسيُّ الخمر ورجعوا بتفكيرهم الواقعي لنبذوا الكأس وما قربوه.

****

قصيدة ممسكة الرماق

أعـــاذلَ لا أمـــوتُ بكـــفٍّ سَـــاقِ

ولا آبـــى علـــى ملـــكِ الـــعراقِ

هجـــرْتُ لـــه الـــتي عنهـــا نهـــاني

وكانـــت لـــي كـمُمْـسِـكَـةِ الــرِّماقِ

وقـــد يغـــدو إلـــى الحـــانوتِ زِقِّـــي

فيأخُـــذُ غَـــفْوَهُ قـــبل الـــزّقاقِ

وكُـــنَّ إذا نزَعـــنَ إلـــى مـــداهُ

حـــوى قـــدَّامها قـــصبَ الـــسّباقِ

نتيجـــةُ مُزنَـــةٍ مـــن عُـــودِ كَـــرْمٍ

تُـــضِيءُ الليـــل مـــضروبَ الـــرّواقِ

بلـــونٍ رقَّ حـــتى كـــاد يخفـــى

علـــى عينـــي، وطـــاب علـــى المـــذاقِ

فتـــجري مـــا يُحَـــسُّ لهـــا حَـــسيسٌ

إذا مـــــرَّتْ بـــــمزدَرَدِ البُـــــصاقِ

أتـــت مـــن دونهـــا الأيـــامُ حتـــى

تعـــادمَ جـــسمها، والـــرُّوحُ بـــاق

ســـبقتُ بـــشربها لـــومَ الأدانـــي

مـــع الوصـــفاء فـــي الـــسُّلُبِ الرِّقـــاقِ

وأحـــــورَ لا تجـــــاوِزُهُ الأمـــــاني

حلـــبتُ لـــودِّهِ مـــاءَ المآقـــي

دعتـــــني عيـــــنُه دون الـــــنَّدامى

وآذنـــني: مـــتى منّـــا التّلاقـــي

فبـــتُّ علـــى شـــفا الموعـــودِ ألقـــى

جـــوىً للقائـــه كـــجوى الفـــراقِ

فأصـــبحتُ اعتَجَـــرْتُ علـــى مـــشيبٍ

ووقَّـــرَني الخليفـــة عـــن نِزَاقـــي

نقف مع أبي نواس وقفةً تحاورية لنسأله عن أسرار غلفها في هذه السيمفونية وأخطرُها منع حاكم العراق وإحظاره عليه الكأس فجنَّ النواسيُّ جنوناً إذ لا طاقة له لهجر لحبيبته السلافة التي هي عنده ألذ ما في الحياة فلا صبر له دونها ولا عيشة ولا قرار فهو في هذه السيمفونية يدور على محور هو الحب للحميَّة والتفاني شوقاً في شربه ولكنه يخشى من الحاكم ولا يخشى من الله ولعله يقصد بمحمد الأمين الذي كما روى التاريخ أنه حظر عليه شرب الخمر ولكنني لا أرى لهذه الرواية موقعاً من الصحة ولعلها سطرت من أبي نواس أو من وعاظ السلاطين أو من عبيد البلاط الذين أحدقوا بالأمين في مدة حكمه وسلطانه قبل أن يقتله أخوه المأمون الله أعلم بالحقيقة ولكننا نخرج من هذه القطعة بصورة واضحة إنَّ أبا نواس يكرر هذه الصور عن لياليه ولذّاته البيكورية في صور متلونة وحياة متباينة إلا أن هذه الصورة تختلف عن تلك الصور بالحظر عليه في شرب الكأس.. الكأس الذي عند أبي نواس هو أفضل شيء في حياته ولذاته.

قصيدة يا أبا القاسم

اسقِـــــــني والليـــــلُ داجِ

قـــبل أصـــوات الـــدجاجِ

اســـــقني صــــهباءَ صــــرِفاً

لــــم تُدَنَّـــسْ بِمــــزاجِ

نحْلُـــبُ الـــراح صُـــراحاً

فـــي أباريـــق الزجـــاجِ

وغـــزالٍ مـــن بنـــي الأصـــ

فـــر معـــصوب بتـــاجِ

شخــــصُهُ مـــني بعـــيدٌ

وهـــواه كالـمُناجـــي

يـــا أبـــا القاســـم صـــبراً

كـــل هـــمٍّ لانفـــراجِ

ونعود لنتحاور مع الشاعر النواسي في صوره التي يرسم فيها لياليه الحمراء ولذاته الشهوانية البيكورية فاسمعه كيف يناجي السقاة فهو يطلب من ساقيه أن يسقيه والليل ملقىً بأجرانه على الأفق قبل أصوات الدجاج، أن يسقيه صهباء غير ممزوجة بل يريدها صرفاً لم تمزج بدنس ولا أدري ألم يكن الخمر دنس إنه غير دنس عند النواسي ومن لف من شريحته إنه عطرٌ لا مثيل له، فهم يحلبون الراح كما تدر اللبن من ثدي البقر ولكنّ هذا الحليب يحلبونه في زجاج لا من ثدي البقر، وسميرهم غزالٌ من بني الأصفر معصّب بالتاج ولا ندري أي جنس من بني الأصفر الذي يشير له الشاعر النواسي فقد عرف أن اليابان هم من بني الأصفر أو يشير إلى الصين مطلقاً لا أدري ماذا يقصد بهذا الجنس من بني الإنسان، فهو يراه بعيد الجسم عنه ولكنه قريب الروح قد امتزج معه كأنهما في كأس واحد، ويختم هذه السيمفونية بخاتمة زخمٍ وحكمةٍ فيها أناةٌ وصبر ولكل همٍ وغمٍ فهو إلى انفراجٍ إذ دوام الحال من المحال.

قصيدة أربعة لأربعة

سألــــتُ أخـــي أبـــا عيـــسى

وجبريــــــل لــــــه عقــــــلُ

فقلـــــتُ: الـــــخمرُ تعجبنـــــي!

فقـــــال: كـــــثيرُها قـــــتلُ

فقلـــــت لـــــه: فـــــقدِّرْ لـــــي

فـــــقال، وقولـــــه فَـــــصْلُ

وجـــــدتُ طـــــبائعَ الإنـــــسـ

ـــانِ أربعـــةً هـــي الأصـــلُ

فأربعـــــــــةٌ لأربعـــــــــةٍ

لـكـــلِّ طبـــيعة رِطـــلُ..

أيها النواسيُّ لقد أكثرنا معك هذا التحاور عن سهراتك ولياليك الغارقة على مائدة الحُميَّة والوتر والمجون ونقف معك في هذه السيمفونية

وأنت تحدثنا عن حبيبتك وتعترف في هذه السيمفونية بأنها قاتلة وهل تستعذب القتل في سبيل حبيبك كما يستعذب العاشق الموت في سبيل الوصول إلى معشوقته فنبدأ معك مشهداً تصور فيه سؤالاً هل هو تقريري أو هو حقيقة واضحة لأنك تسأل ندمانك وقد سميتوهما وهما عيسى وجبريل وقيدتَ سؤالك بأن لهما عقلاً أي لم يكونا ثمِلَين وهذه لفتة منك رائعة لأن الثَمِلْ لا عقل له، وأردفتَ في سؤالك عن إعجابك بالخمر ولكنهما كانت إجابتهما نصحاً لك كما عبرتَ فالإدمان على الخمر هو قتل للعقل والجسم ولطبيعة هذه العوامل وغيرها حرمها الشرع، ثم استمريتَ في تحاورك مع نديميك فكان التحاور فيه سخريَّة لاذعة لأنك طلبت منهما تقنين شربك للكأس فكان الجواب من نفس طبيعة السؤال حيث قسَّمَ طبيعة الإنسان إلى أربعة فكل واحدة منها لها رطل من الشراب، وهنا لا أستطيع أن أعلق هل هي سخرية أم هي حقيقة الله أعلم بماذا تقصد وأكبر الظن في مرأياتي هي سخريَّة قد ندَّتْ من شفتك من حيث تشعر أو لا تشعر.

(أول تسع أبيات من)

قصيدة خمار يهودي

وفتيـانِ صِـدقٍ قـد صـرَفْتُ مَطـيَّهمْ

إلـى بيـت خمَّـار نـزلنا بـه ظهـرا

فلمّـا حكـى الزّنّـارُ أنْ لـيس مسلماً

ظنـنَّا بـه خيـراً؛ فظـنَّ بنـا شـرَّاً

فقلنـا: «علـى دين المسيح بن مريمٍ؟»

فـأعرض مُـزْوَرَّاً، وقـال لنـا كـفرا

ولـكن يهـوديٌّ يحـبُّك ظاهـراً

ويضمِرُ في المكنونِ منه لك الخترا

فقلنـا لـه: «ما الاسمُ» قـال «سمَوْألٌ»

علـى أنني أُكـنى بعمـروٍ ولا عَمْـرَا

ومـا شـرّفتني كُنـيةٌ عربـيّةٌ

ولا أكـسبتني لا سـناءً ولا فـخرا

ولكـــنَّها خَفَّـــتْ، وقلّـــتْ حروفُهـــا

وليس كـأخرى إنما خِلِقَتْ وقـرا..

فقلنـــا لـــه عُجْبـــاً بظـــرفِ لـــسانه:

«أجدتَ أبا عمرٍو فَجودٌ لنا الخمرا»

فـــأدبرَ كالـــمُزوَرِّ يقـــسم طرفَـــهُ

لأرجلنـــا شـــطراً، وأوجهِنـــا شـــطرا

أيها الشاعر النواسيّ لم تنتهِ سهرتنا التحاورية لا سهرة الخمريات فالتحاور معك في هذه الألحان التي بعثتها ألحانا وصورتَ فيها جلساتك وسهراتك فنبدأ معك التحاور مع ندمانك الذين وصفتهم بفتيان صدق ولكنّك صرفتَ مطيِّهم إلى بيوت الحانات، ولمَّا رأيتم الساقي يلوح عليه الزِّنَّار ظننتم فيه الخير ولكنه بادلكم عكس ما ظننتم فظن بكم الشر، فتخيلتم من ذلك الشِّعار أنه نصراني على دين المسيح بن مريم ولكنه قطَّبَ وازورَّ وجهه وقال لكم كلمة الكفر ولم تترجم هذه الكلمة في شعرك، وأخيراً لا آخِراً بانت لكم حقيقته إنه يهوديّ واليهودي يضمر للإسلام الغدر وإن كان فاسق، وانتهيتم إلى حقيقة اسمه إنه سمؤال فلعل من هذا الاسم انتقلتَ أيها النواسي إلى الشاعر الخالد السموأل ولكنك لم تكشف عما دار في خاطرتك، ولكنني بصفتي شاعر وبصفتك شاعر يتخيل لي أنك

انتقلتَ إنتقالة تاريخية شاعرية وطويتَ القرون حتى عدتَ إلى أيام الشاعر السموأل، وهنا تظهر الشعوبية عليك أيها النواسي على لسان هذا اليهودي في تحاورك معه حيث لم تشرفه كنية عربية ولم تكسبه مجداً أو فخر، وتوغل في تحاورك معه حتى تصور أن الكنية العربية إنما هي قليلة الحروف خفيفة الوزن ثقيلة الوقر، وتصادقه في تحاورك على قوله وتؤيده في رؤياه، وتطلب منه ثمناً أن يجود لك الخمر، وأنهى تحاوره معك بإدباره مزوراً يقسم طرفه قسمين قسم ينظر إلى أرجلكم والثاني ينظر إلى وجوهكم، ولعلك أيها النواسي أشرت في قطعتك التصويرية إلى سرٍّ يظهر على خطوط الوجه حروفاً تقرؤها العين أما نظره إلى أرجلكم فهذا سرُّه عند النواسي، لا نريد أن نفسره ونعلق عليه لأن هواك معروف منحرف عن الأنثى.



أول عشرة أبيات من

قصيدة بنت عشر

دعْ لباكـــــيها الدّيــــارَا

وانْـــفِ بالـــخمر الـــخُمارا

واشـــربْنها مـــن كُميـــتٍ

تـــدَعُ الليـــلَ نهــــارا

بنـــتُ عـــشرٍ لـــم تُعايـــنْ

غـــير نـــار الـــشّمسِ نـــارا

لـــم تـــزل فـــي قعـــرِ دَنٍّ

مُـــشْعَرٍ زِفتـــاً وقـــارا

ثـــم شُجَّـــتْ فـــأدارت

فوقـــها طـــوقاً فَـــدَارا

كاقـــترانِ الـــدرِّ بالـــ

ـــدرِ صِـــغاراً وكِـــبارا

فـــإذا مـــا اعترَضَــته الـــ

ـــعينُ مـــن حيـــثُ اســـتدارا

خِلـــتهُ فـــي جنبـــاتِ الـــ

ـكـــأسِ واواتٍ صِـــغارا

مـــن يـــديْ ســـاقٍ ظريـــفٍ

كُـــسيَ الحُـــسنَ شِـــعارا

يقـــتري الـــقومَ بكـــأسٍ

تلـــبسُ الخـــمر إزارا

أيها الشاعر النواسي لم نزل معك في سهرتنا التحاورية وقد طال الليل وحلى السمر فنتحاور معك في هذه القطعة الوصفية التي تحدثتَ فيها ووصفتَ لياليك البيكورية وافتتحت سيمفونيتك بانتقادك الباكين على الديار، وطلولها وهي لا تشعر ببكائهم وطالما كررت هذا النقد في شعرك في عدة ألوان من النقد، وفزعت إلى محبوبتك الخمر، تصفها عندما تقدم لك الكأس إنها تشع وتحول الليل إلى نهار، وأوغلت في وصفك فجعلتها بنت عشر لم تعاين ناراً إلا نار شمس النهار فهي تقتبس من نورها فتنير، برغم أنها في قعر الدَّن المطلي بالزفت والقار، وعندما شجت من دنها وأداروها عليك كؤوساً فوق طوق فدار ذلك الطوق وكانت متعتك المنشودة،

ومثلتها كما يقترن الدر بالدر الكبار بالكبار والصغار بالصغار، وهنا تثب وثبة فتصورها تصويراً رائعاً فعندما تنظر العين لهذه الكأس تخالها كأنَّ في قعرها واوات وهذه الصورة صورة حيَّة تتوثب بالخيال والحياة، ويزيدها حسناً إن الساقي يديرها بيدٍ كلها حسن وجمال فتزداد لهفةً وشوقاً للساقي وللكأس.

❋❋❋❋

أول سبعة أبيات من

قصيدة صحت علانيتي

أَطِـــع الخليفـــةَ، واعـــصِ ذا عـــزفِ

وتـــنحَّ عـــن طـــرَبٍ، وعـــن قـــصفِ

عـــينُ الخليـــفةِ بـــي مُوَكَّلَـــةٌ

عـــقدَ الـــحذارُ بطرفِـــهِ طرْفـــي

صـــحَّتْ علانيـــتي لـــهُ، وأرى

دِيـــنَ الـــضمير لـــه علـــى حـــرْفِ

فلـــئن وعـــدْتُكَ ترْكـــها عِـــدَةً

إنـــي عليـــكَ لخـــائفٌ خُلْـــفي

دارتْ فواقعُهـــــا فناظـــــرُهُ

متـــصنِّعٌ بخِـــلافِ مـــا يُخـــفي

ومدامـــةٍ تحـــيا الـــنفوسُ بهـــا

جلَّـــتْ مآثـــرُها عـــن الوصـــفِ

قـــد عتّقـــت فـــي دنّـــها حقَـــباً

حـــتى إذا آلـــتْ إلـــى النّـــصفِ

لم نزل في سهرتنا التحاورية حيث كان الليل ليلا شتائياً والوقتُ يحتاج إلى تدفئة والسهرة تحلو حول الموقد وأباريق الشاي والقهوة العربية فهل تتذوق معنا أيها الشاعر النواسي هذه السهرة التي لا حُمَيَّة فيها ولا وتر إنما هي سهرة فكرية تدور على هامش شعرك وما تركتَ من صور معبرة عن لهوك وحياتك الماجنة فنبدأ معك فنسألك عن علانيتك التي وصفتها بأنها صحيحة غير مزيفة ولكن لم تكشف لنا عن سريرتك هل هي تطابق العلانية أم هي تختلف في صورتها عن صورة العلانية ومضيتَ فجردتَ من نفسك شخصا تخاطبه بطاعة الخليفة وعدم عصيانه في شربك الكأس ولكنك لم تترك وصفك للحبيبة وترغيبك للشاربين وفي طليعتهم أنت أيها النواسي ولعلك أنت الكل في الكل ومضيتَ تصور أن عين الخليفة معقودة في عينك وكأنك لو شربت الكأس لكان يراك ولكنَّ فؤادك هو لين لا يستطيع أن يعصيك، ومضيتَ في قولك أنك لا تخلف وعدك في عدم شربها ولكنك تخفي غير الذي تبدي وهذا ما أشرنا له في صدر التحاور لأنك عاشق ومدمن للكأس، ونعود لنفتح الحديث معك في صورك من قصائدك الخمريات التي انفردتَ بها من بين الشعراء وحلقتَ بها في سماء الشعر فنبدأ تحليل هذه السيمفونية فوصفتَ الخمرة أنها محيية للنفوس وأن الوصف لا يصل لها فإنها ترتفع عن الوصف، برغم المدة التي مرت عليها حيث أصبحت قديمة في دنها مرت عليها أحقاب حتى بلغت نصف العمر وهذا

الوصف يكثر عند أرباب الكأس وأصحاب الحمية ولا أتصور هل هو تقليد أعمى لمن سبقهم أو يجدون فيها لذة لا يعرف هذا المعنى ولا يتصوره إلا الخمارون أعوذ بالله من شرهم ومن خمرهم.

****

قصيدة جارية!

ساعٍ بكأسٍ إلى ناشٍ على طربِ

كلاهما عجَبٌ في منظرٍ عجبِ

قامت تُريني، وأمرُ الليل مجتمعٌ

صبحاً تَوَلَّد بين الماء والعنبِ

كأنَّ صُغرى، وكبرى من فواقِعِها

حصباءُ دُرَّ على أرضٍ من الذهبِ

كأنَّ تُرْكاً صُفُوفاً في جوانبها

تُواتِرُ الرَّمْيَ بالنُّشَّابِ من كَثَبِ

من كفِّ ساقيةٍ، ناهيكَ ساقيةً

في حُسنِ قَدٍّ، وفي ظرْفٍ، وفي أدب

كانتْ لربٍّ قيانٍ ذي مغالبةٍ

بالكشخِ مُحترفٍ بالكشخ مكتَسِبِ

فقـــد رأت ووعَـــتْ عـــنهنَّ، واختلفـــت

مـــا بيـــنهنَّ، ومـــن يهـــوينَ بالكُتُـــبِ

حتـــى إذا مـــا غَلـــى مـــاءُ الـــشباب بهـــا

وأُفعِمَـتْ فـــي تمـامِ الجـسمِ والقـصبِ

وجُمِّـــشَتْ بخفـــيّ اللحـــظِ؛ فانجمَـــشَتْ

وجـرَّتِ الـوعدَ بـين الـصِّدقِ والكـذبِ

تَمَّـــتْ؛ فلـــم يـــرَ إنـــسان لهـــا شَـــبَهاً

فـيمنْ بـرى اللّه مـن عُجـمٍ ومـن عـربِ

تلـــك التـــي لـــو خلَـــتْ مـــن عـــين قيِّمهـــا

لـــم أقـــضِ منهـــا ولا مـــن حبِّهـــا أرَبـــي

وهنا نقف وقفة تحاورية مع أبي نواس في صورة أخرى يختلف فيها الشاعر أبو نواس فإنه هنا يظهر ميوله إلى الأنثى وإنه لا يرغب في غير هذه الساقية ويصفها وصفاً دقيقاً أما الصورة التي يصف بها الخمر فقد تكررت في قطعه السابقة فنكتفي بما صورناه وشرحناه.

إبليس الظريف

بــاكر صـــبُوحكَ فـــهو خـــيرُ عتـــادِ

واخلــع قيــادَكَ، قــد خلَعــتُ قيــادي

لا تنـــسَ لـــي يـــومَ العَرُوبـــةِ وقعـــةً

تُـــودي بـــصاحبِها بغـــيرِ فـــسادِ

يومـــاً شـــربتُ، وأنـــتَ فـــي قُطربُّـــلٍ

خـــمراً، نـــفوقُ إرادة الـــمرتادِ

لـمّـــا وردنـــاها نُلِـــمُّ بـــشيخِها

عِلـــجٌ، يحـــدِّثُ عـــن مـــصانعِ عـــادِ

قلنــا «الــسلامُ علــيكم» قــال «علــيكمُ

منّـــي ســـلامُ تحـــيّةٍ، ووداد

مـــا رُمـــتمُ؟ قلنـــا «المـــدامَ» فقـــال«قـــد

وفِّقْـــتُمُ - يـــا أخـــوتي - لرشـــادِ

عـــــندي مُـــدامٌ قـــــد تقـــــادمَ عَهـــدُها

عُـصِرَتْ، ولـم يـشعر بهـا أجـدادي

فـأكيـــلُ؟ قـــلنا: «بعـــد خُـــبْزٍ، إننـــا

لا نـشـتري سـمـكا بـبطن الـوادي

جـــئنا بهـــا! فأتـــى بكـــأسٍ أشـــرقت

منهـا الـدُّجى، وأضـاءَ كـلُّ سـوادِ

فـــــأدارَها عـــــدداً ثلاثـــــاً، فـــــانثَنَتْ

منـا النفـوسُ، ولـــيس منهـا صـادِ

حتـــى إذا أخـــذتْ بوجـــنةِ صـــاحبي

وفـــؤادِهِ، وبوجـــنتي وفـــؤادي

لـــم يـــرض إبلـــيس الظريـــف فعالنـــا

حـــتى أعـــان فـــسادنا بفـــسادِ!

ونعيد تحاورنا مع الشاعر حيث لم نطو بساط السهرة ولازلنا في سهرتنا نعيش مع شاعرنا أبي نواس برغم ما بيننا وبينه من مسافة زمنية بعيدة سحيقة طواها الليل والنهار وتألفت من الشمس والقمر وطويت

وراء جدران التاريخ ولكنَّ شعر أبي نواس لايزال حيًّا جديداً يتجدد مع كل إشراقة الصباح فهيا بنا نتحاور مع هذا الشاعر ونبدأ التحاور فقد طلب ندمان أبي نواس أو جرد من نفسه مخاطبا فطُلب منه أن يباكر صبوحه فهو خير عتاد له وإنه خلع كل حشمة وقيد فعلى نديمه أن يخلع مثل ما خلع هو ويقبل على الصبوح أي الكأس، ويستمر في وصفه للسهرة والحانة فيحدد محلها وهي قطربل من مدينة السلام حيث شرب خمراً يفوق شهوة المرتاد وقص عليهم عجميٌّ أنباء الماضي وهم سكارى، وعندما ألقوا له التحية رد عليهم التحية بأفضل منها ودعى لهم بالتوفيق والرشاد إذا تناولوا الكأس لأنه من جنسهم والطيور على أشكالها تقع، وبعد أن دعى لهم وصف ما لديه من حُمية وأنها قديمة من قبل أجداده وأنه سوف يكيل لهم ولكنه لا ككيل السمك الذي يباع في الأودية إنه أثمن عنده من كل شيء، فأهاج رغبتهم العارمة وشوقهم الجانح إلى الكأس وفي لهفة طلبوا منه أن يجيء بتلك الكؤوس فأدارها عليهم بدل الواحدة ثلاثة فأشرق من ضوئها الظلام وهذا في رؤية المدمنين والمحبين لهذه الحميَّة، وهنا النواسيّ يختم سيمفونيته ببيتٍ فيه صورة وصفية واعتراف شيطاني وانقياد لإبليس لعنه الله حيث يقول لم يرض عنهم حتى أعانهم من فساد بفساد وهكذا الخاتمة الغير الشريفة المذلة.

قصيدة الماجن

بـادر صَـبُوحَك، وانعـم أيـها الـرجُلُ

واعـصِ الـذين بجهلٍ فـي الهوى عَـذلوا

واخلـعْ عذَارك، أضحِك كلَّ ذي طربٍ

واعـدِل بنفـسك فـيهم أينمـا عـدلوا

نـال الـسرور، وخفضَ العيشِ فـي دعـةٍ

وفـاز بالـطيِّباتِ الماجـنُ الـهَزِلُ

سقـيا لمجلـسِ فتـيانٍ أنادمـهُـمْ

مـا فـي أديمِهِـمُ وهـيٌ، ولا خـللُ

هـذا لـذاكَ، كـما هـذا وذاك لـذا

فـالـشمل منتـظمٌ، والـحبلُ متَّـصلُ

أكـرِم بـهم، وبنَـغْمٍ مـن مغـنيَّةٍ

فـفي الـغناء بنـغْمٍ يُـضربُ المثـلُ

هـــيفاءُ تُـــسمِعُنا، والعـــودُ يطربـــنا

«ودِّعْ هـــريرة إنَّ الركـــبَ مرتحـــلُ»(١)

وقفة معك أيها النواسي لنبدأ سهرتنا التحاورية ونتحـدث معـك في بنـات أفكارك التي صورت فيها حبيبتـك الحُميَّـا وارتقيـتَ في صـورها إلى قمـة الفـن، ولكنك في هذه القطعة دخلت في زمرة النَّهـازين البيكـوريين الـذين لا يهمهـم إلا اللَّذة المادية فهم بيكوريوا النزعة نهابون للفـرص فلنطلـب منـه أن يتحـدث معنـا ويقرأ هذه القطعة الإباحية حيث تـصدر أوامـرك أن يبـادر إلى صـبوحه ولا يعبـأ بالذين يلومونه وأن يعصيَهم، ولا يقيم لعدلهم وزناً، وتطلـب مـن نـدمانك خلـع الوقار وأن يملؤا ناديهم بالضحك وأن يميلوا حيث مالوا، وبهذه الحياة الماجنة تنال السرور ودعة العيش؛ وتفوز بالطيبات إذا كنتَ خليعاً ماجنـا هكـذا التعـاليم مـن شاعرنا أبي نواس، ثم تدعو لهم بالسقيا وإنهم أصحاء ليس في جسومهم شيء وهم مترابطون كل واحد مع أخيه وشـملهم مجتمـع، وتتغلغـل في إباحياتـك وتـصور سمرتكم التي دارت فيها الكؤوس يزيدُها حسناً وطرباً إنَّ هيفاء تغنـيكم بـنغمات سحرية وتشوقكم وتطربكم فتسكركم وفي نغم أغنيتها تضرب المثـل في مرأياتـك حتى تزدادوا لهفة لأنَّ الحياة عندكم فرص كالظلال ستطول كما يرتحل ركبكم غداً، ولا يبقى له أثر هكذا الحياة الماجنة اللاهية.

---

(١) الشطر الثاني مطلع معلقة الأعشى وتمامه: وهل تطيق وداعا أيها الرجل.

قصيدة ناعم

لا تـصحَبَنَّ أخـا نُـسْكٍ، وإنْ نـسَكا

وإنْ فتـكْتَ؛ فـكـنْ حـرباً لـمن فتكـا

وناعــمٍ قــامَ يـسقيني، فقلــتُ لــه:

«نفسي الفِداءُ.. لمن هـذا؟» فقـال: «لكـا»

فقلــت: بالـشـكر مــن عينيـكَ آخـذُهُ

فـصدَّ مــن خــجلٍ منّــي، ومــا ضــحكا

مــا قلــتُ مــا قلــتُه إلا لأُخـجِلَــهُ

ولـــو أعـــدتُ علـــيه مثلَـــهُ لبـــكى

وبنــتِ كــرْمٍ سـفكناها بدرهــمنا

مــن بطـن أســحمَ، مُـسْوَدٍّ، ومـا سُـفِكا

كـــأن أكـرُعَـــهُ أيـــدٍ مُقَـطَّعـــةٌ

لا يـــرتجي قَـــوَداً منـــها، ولا درَكـــا

حتـــى إذا مزجـتْ بالمـاء، واختلــطتْ

حـــاكَ الــمِزاجُ لهـا مـن لـؤلــؤٍ فلكـــا

ونستمر معك في هذه السهرة التحاورية لندخل معك في حوار طويل ونسألُك عن تحذيرك عدم صحبة الناسك لماذا؟!.. هل تخشى منه أن ينغص عليك لذاتك بنقضه للهو أو اعتراضه عليك غير أنَّ عجز البيت كان فيه إرشاد لمن يعتدي فإنك تطلب منه أن يكون حرباً لمن يفتك عدواناً وأن يكون حرباً رادعاً للظالم وأن يقف مع المظلوم وهذا من الأخلاق الرفيعة، وقد أضربتَ عن صورة بيتك الأول لتدخل إلى جو لهوك فهناك ناعم الجسم وسحري الطرف ينتظرك ويفاديك بنفسه وقاية لك وهذه هي أنشودتك وديدنك في هذه الحياة، ثم تبدع الصورة ففيها زخم وتصوير رائع تأملوا معي هذه الصورة الرائعة في هذين البيتين حيث التهمتَ الشكر من عينيه حتى خجل منك وصدَّ عنك ولم يضحك لخجله حيث ملأه الخجل وغطى عليه كستار وأشفقتَ عليه في عدم إعادة العتاب ولو أعدتَهُ لبكى تعبير رائع وصورة متحركة، ثم تنتفض من هذه الصورة لتدخل إلى أفقٍ هو أُفق محبوبتك الحُميَّة التي وصفتها أنها عصرت من عنب أسحمٍ غير مسفوكٍ دمه ولم تقطَّع أوصاله ولو قطِّعَت لما أقيد بالقَوَدْ، وعندما مزجت بالماء كأنه حاك لها من لؤلؤٍ سماءً تتلامع بالكواكب.

قصيدة خاطب الخمر

يــا خاطــبَ الــقهوةِ الــصهباء، يمــهُرُها

بالـرِّطْـلِ يأخــذُ مــنها مِــلأهُ ذهبــا

قــصَّرْتَ بالــرَّاحِ، فاحــذر أن تُــسَمِّعها

فيحلــفَ الـكــرْمُ أن لا يحمــلَ الــعنبا

إنـــي بذلــتُ لهـــا لـــمَّا بَــصُرْتُ بــها

صــاعاً مــن الــدُّرِّ والياقــوتِ مــا ثُقِبــا

فاستوحَــشَتْ، وبكــتْ فــي الــدَّنِّ قائلــةً

يــا أمُّ ويحــكِ، أخـــشى الــنار والـلــهبا

فقلـــتُ: «لا تحـــذَريهِ عـــندنا أبـــداً»

قالت: «ولا الشمس؟» قلت: «الحرُّ قد ذهبا»

قالتْ: «فمن خاطبي هذا؟» : فقلتُ: «أنا»

قالــت: «فبعلــيَ؟» قلــتُ: «المــاءُ إنْ عــذُبا»

قالـــت: «لقـــاحي» فقلـــتُ «الـــثلجُ أُبْـــرِدُهُ»

قالـــت: «فبيتـــي، فمـــا أستحـــسِنُ الخـــشبا»

قلـــــتُ: «القنـــــانيُّ والأقـــــداحُ، ولَّـــــدَها

فِرْعَـونُ» قالـت: «لقـد هيَّجـتَ لـي طربـا»

لا تُمكِّـــــنِّي مـــــن الـــــعربيدِ، يـــشرَبُني،

ولا اللـــــئيمِ الـــــذي إنْ شـــمَّني قـــطبا

ولا الـــــمجوسِ، فـــــإن الـــنَّار ربُّــــهمُ،

ولا الـــيهودِ، ولا مَـــــنْ يعبـــدُ الـــصُّلبا

ولا الـــــسَّفالِ الـــــذي لا يـــــستفيق، ولا

غِـــرِّ الـــشبابِ، ولا مَـــنْ يجهـــلُ الأدبـــا

ولا الأراذلِ، إلاّ مَـــــــــنْ يوقِّـــــــــرني

مـــن الـــسُقاةِ.. ولكـــنْ اســـقني العربـــا

يـــا قـــهوةً حُـــرِّمت إلا علـــى رجُـــلٍ

أثـــرى، فأتلـــفَ فيهـــا المـــال والنَّـــشبا

ونعود لنتحاور معك في هذه السهرة حيث لم تنتهِ لأن الليل طويل وسهرتنا لذيذة لأننا نتحاور في فكر مصور في حرف ناطقٍ بأسلوب بليغ فأنشدنا يا أبا نواس قطعة يا خاطب القهوة فقد صورتَ الحُميَّة فتاة عذراء جاء خاطب لها يمهرها ولكنَّ مهره يدفع عن كل رطل ملؤه ذهب، وأنت ترى أيها النواسيّ أن هذا المهر قد قصَّر فيه خاطبها فخشيتَ أن تسمع الخمر إنقاص قدرها فيحلف الكرم أن لا يحمل العنب فهنا تكون عندك كارثة كبرى فتفقد حبيبتك التي تعصر إليك من العنب، ولمكانتها عندك وعظمتها صورتَ لها صداقا ثمينا حيث صداقها منك لها در وياقوت من أثمن الأحجار الكريمة التي لم تثقب ولم تلبسها غادة على صدرها فهي مرغوبة ومحبوبة تتعشقه الفتيات، وبرغم ذلك غطتها وحشة وهي في دنها وبكت وطلبت من أمها الحماية عن اللهب والنار، فخففتَ من مخاوفها لأن الصيف قد مضى وقد جاء الشتاء بثلجه ورعوده فلا تحس حرارة الشمس ولا الجو فهي تعيش في جوٍّ مثلَّجٍ فيلذُّ عندك السمر والشراب، وقد مضيت في تحاورك مع حبيبتك تحاوراً ودياً فكان الاستفهام منها عن خاطبها فرددتَ عليها أنت الخاطب لها وأنت الشاعر الذي وصفها وصفاً قلما يوصف مثله فأنتَ حريٌّ بها ونعم الزوج لهذه الفتاة لأن الطيور لا تقع إلا على شبيهاتها، وأنت تهددها وتشرح لها لقاحها فالماء هو اللقاح لها والثلج هو بعلها ولا تريدها أن تعيش في بيت من خشب إنما بيتها دنٌّ من جلدٍ يطلى بقارٍ وزفت، فبعد أن هدأت روعتها أفرحتها حيث أنها تسكب في القناني والأقداح التي ولدها فرعون وعندما سمِعَتْ هذه النغمات أهجتَ لها الطرب، وهنا أبدعتَ حيث أجريتَ بينك وبين محبوبتك قصة تحاورية ختمت مقطعها

بفرحة لحبيبتك وهكذا الأحباب مع أحبابهم أيها النواسيّ في وصفك إلى بنت الكرم حيث صغت على لسانها حديثاً وهو طلبها ألا يشربها عربيد ولا لئيم الذي إذا شمها تقطِّب أساريرَ وجهه، وتمنع شربها من المجوس واليهود والنصارى لأن المجوس يعبدون النار ولا من يعبد الصليب كلهم ممنوعة عليهم شربها، ولا السفال الذين لا يفيقون من سكرتهم، ولا الذين يجهلون الأدب، ولا أراذل الناس الذين لا يوقرون هذه الحُميَّة فأنبئنا يا نواسيّ من ذا تريد أن يحتسيها وهل يحتسيها إلا الذين طلبت منك محبوبتك ألا يحيتسيها والاحتساء لها يردُّ شاربها إلى السفال لأنه يفقد عقله وإحساسه فما رأيك في رجل لا يملك عقلا ماذا تكون عاقبته، وتخلص من منعك الشراب لها بخطابك لها وطلبك أن تصرف المبالغ الضخمة على شرب هذه القهوة، وهنا نقف معك أيها الشاعر النواسي فنسألك من ذا الذي يشرب هذه الحميّة هل هو غير العربيد ولماذا لا يشربها اليهود أو ذوي الصلبان أو الأراذل غريب جدا هذا التصوير والتعبير فالحمية لا يحتسيها إلا أمثال هؤلاء ومن لف لفهم أما الشريحة العاقلة أو المؤمنة أو شريحة عندها ذرة من العقل أو الأدب فإنها تبتعد ولا تحتسي منها ولا جرعة واحدة، ولا أستطيع أن أقول أكثر مما قلت وأختتم هذا التعليق بكلمة سخرية لاذعة أهكذا الذين يهيمون في الضلل والتيه فيجهلون كل شيء لم أكن أتصور أن يقول شاعر ما قلته.

قصيدة جسم بلا روح

مـــا زلـــتُ أســـتلُّ روح الـــدّنِّ فـــي لُطُـــفٍ

وأســـتقي دمـــه مـــن جـــوفِ مجـــروحِ

حتـــى انثنيـــتُ ولـــي روحـــانِ فـــي جـــسدٍ

والـــدَّنُّ منطَـــرِحٌ جـــسماً بـــلا روحِ

ونعود معك للتحاور يا أبا نواس فنفتتح معك سيمفونية أخرى وهي لا تتجاوز بيتين ولكنهما بلغا قمة الوصف وفي قمة البلاغة والأدب ولا يمنعنا أن نقول الحقيقة ولو كان الوصف والتصوير في شيء محرم كبنت الكرم ولكنّ الشعر يبقى شعراً والفن يبقى فنّا خالداً فتصوروا معي وتأملوا في هذه الصورة المتحركة الناطقة التي هي كشريط سينمائي يتجسد بين أعيننا حتى نكاد نراه محسوساً نلمسه ونتقراه ما زلت أستل روح الدن في لُطُف إن كلمة أستل لها وقع بليغ كيف يستل الروح ويستلها في شفافية ولطف بحيث لا يشعر بها ذلك الجماد ثم كلمة يستقي جاء بها من الأفعال المبالغة أي كثرة السقي والسقي من ماذا؟ السقي من دم مجروح حتى بقي

ذلك الدن جسماً بلا روح والمحتسي صار له روحان الروح التي هي في الدن وروحه الأصلية تصوروا معي هذه الروعة وهذا الإبداع الفني الذي بلغ الزخم في بلاغته وتعبيره إنها صورة تهز القلب وتحرك الفصحاء وتنطق اليراع.

****

قصيدة سلاف مروّق

أدِرهـــا عليــــنا قبـــلَ أن نتـــفرَّقا

وهـــاتِ اســقني منهــا سُــلافاً مُروَّقــا

فقد هَمَّ وجهُ الصبحِ أن يُضحك الدُّجى

وهَـــمَّ قمـــيصُ الليـــل أن يتـــمزَّقا

لم تنتهِ معك هذه السهرة فقد عذبت وطابت لأننا ننتهي من صورة فكرية إلى صورة أخرى من سيمفونية إلى سيمفونية ثانية وهكذا دواليك، فحدثنا عن هذه السيمفونية يا شاعر بنت الكرم فقد وصفت في هذه السهرة عندما دارت عليكم الكؤوس قبل أن تنفضَّ سهرتكم وتتفرَّقا وتغتنم اللحظات التي هي أواخر السهرة فتستعجل الساقي أن يسقيك من السلاف المروَّق حتى تثمل ولا تخرج وأنت صادي لأن بنت الكرم هي ديدنك وهي حياتك، لأنك فوجئت بأن الليل أخذ ينطوي ويتقلص وإن الفجر كاد أن ينشق ليمزق أديم الليل ويضحك وهو يحبو على أفق السماء لذلك طلبت المبادرة لتسبق الفجر قبل فراقك محبوبتك.

قصيدة شراب خسروي

داوِ يحيى من خُمارِهْ

بابنةِ الدَّنِّ، وقارِهْ

من شرابٍ خُسرَويٍّ

ما تعنَّوا باعتصارِهْ

طبختْهُ الشمسُ لمّا

بَخِلَ العِلجُ بنارِهْ

فأتى الدهرُ عليه

غير شيءٍ في قرارِهْ

فتجلّتْ عن شهابٍ

يترامى بشرارِهْ

ركدَ الدهرُ عليه

فكفى ضوءَ نهارِهْ

وندیمـــي كـــلُّ خِـــرْقٍ

زانـــه عِتـــقُ نجـــارِهْ

وغـــزالٍ تـــشـرَهُ النفـــ

ـــسُ إلـــى حَـــلِّ إزارِهْ

بَـــسَطتْهُ سَـــوْرَةُ الـــراَّ

ح لنـــا بعـــدَ ازوِرارِهْ

فـأطفنـــا بنواحيـــ

ـــهِ، ولـــم نعـــرِضْ لـــدِارِهْ

لم تزل سهرتنا معك أيها الشاعر الذي رسم في مشهده الشعري الصو البديعة الرائعة، فنبدأ معك فتحدثنا عن هذه السيمفونية التي خصصناه لسهرتنا وما فيها من ميول جنسية فحدثنا واشرح لنا سر هذا الحرف وم فيه من صور خلابة فتجعل دواء الخمر بالخمر وهذا معنىً اقتبسته أو أخذت من شعراء قدامى الشعراء الجاهليين حيث قال أحدهم:

تـــداويتُ مـــن ليلـــى بليلـــى عـــن الهـــوى

كمـــا يتـــداوى شـــارب الخمـــر بـــالخمر

وقال الأعشى: تداويتُ من كأسٍ بكأس

وهذه نغمة تقليدية درج عليها الشعراء على ضوء الشعر الجاهلي فالتقليد عندنا لا يزال متبع نسير في أجوائه ونخبط في ظلمائه ومن العجائب أن يتم هذا التقليد عند بعض شعرائنا إلى يومنا هذا عصر الحاسوب معجزة القرن الواحد والعشرين ولست أريد أن أبحث هذا الموضوع لأنه ليس من اختصاص بحثنا، والطلب الذي فيه الدواء عن الداء أن يكون شراب خسروي لم يعتنوا بعصره، فهو مطبوخ على ضوء الشمس عندما بخل الأعجمي بناره، ولكنّ الدهر الذي لا يرحم عندما بخل العلج بناره قسى عليه ولم يترك له حتى قطرات في قراره لأن الدهر لا يرحم، فظهرت بنت الكرم برغم البخل وقسوة الدهر ظهر شرارها ونارها إلى الآفاق، ومضى الدهر في ركده حتى أخمد نهاره وعطل حركته، فأخذت يا أبا نواس توصف النديم الذي ينادمك في معاقرة الكأس فهو قديم الأصل كريم الحسب، وقد حلى لك أن تثب وثبة عبقرية فتصف لنا ذلك الغزال الذي تشره النفس إلى حل إزاره وماذا تقصد هنا بهذه الصورة الماجنة وإن كانت فيها روعة وتعبير وصفي، حسب تعبيرك أنك أطفت بكل ناحية من نواحيه إلا أنك لم تعرض لداره.

قصيدة اسقِ ذفافة

اســـقِني، واســـقِ ذفـافَـــهْ

يـــا أبـــا الـحـــر سُلافَـــهْ

واســـقِ رأسَ اللـــهو والظَّـــرْ

فِ عـلـــى يُـــمنِ العيافَـــهْ

قهــــــوةً ذاتَ اختيـــــالٍ

سلـمـــتْ مـــن كـــلِّ آفَـــهْ

إنَّ غـــيري مـــن قـلاهـــا

لـرجــــاءٍ أو مـخـافــــهْ

هــــاتِها جـــهراً، ودعْـــني

مـــن أحاديـــثِ خُـــرافهْ

ضــــاع بـــلْ ذَلَّ الـــذي

عنَّـــف فيهـــا يـــا ذُفافـــهْ

مثلمـــــا ذلَّـــــت وضـــــاعت

بعـــــد هـــــارون الخلافـــــةْ

عودة معك حيث لم تنته السهرة وأنت لا تزال متربع على مائدتك الحمراء طالباً سقيك وسقي ذفافة من سلافة حمراء عذبة في مرأياتك ، وتطلب السقي أيضا إلى الظرف ورأس العيافة ولا أعرف ماذا تقصد برأس العيافة، من قهوة لها عندك نكهة واختصاص لأنها سلمت من كل آفة ولها اختيال وزهو، وإنك تتحدث وتصف غيرك بأنه يقلاها أي لا يبغضها إلا شيء من الأشياء والخوف أو الرجاء أما أنت فليس لديك محاذير ولو وجدت لحطمتها في سبيل حبيبتك، وتطلب أن تسقاها جهراً ولا سراً ولا تريد أحاديث الخرافات لأنها تخيفك وتحذر عليك شرب الخمر فتعبر عنها بحديث خرافة، فهذه الأحاديث لا تقيم لها وزناً لأن الخلافة بعد هارون ذلت وضاعت.

قصيدة العيش

أدرْهـــا علـيـــنا مُـــزَّةً بابلـــيَّةً

تخيَّرهـا الجـاني علـى عهـدِ قيـصرَا

عقـــارٌ أبوهـــا المـــاءُ والكـــرمُ أمُّهـــا

وفـــي كـأسـهـا الـمُلاءَ المزعفـرا

فمـــا الطـــيشُ إلا أنْ ترانـــيَ صـــاحياً

ومـا الـعيشُ إلا أنْ ألـذَّ فأسـكرا

وقفة معك أيها الشاعر لنشاركك في سهرتك ولكن ليس مع سهرة الكأس وإنما سهرة فكرية ندير فيها الرأي حول ما كتبته من صور وصفية في لياليك الداعرة التي هي أثمن شيءٍ في حياتك فحدثنا عن هذه السهرة وابدأ وانشدنا شعراً. فإنك ضربت لنا صورة رائعة في خمرياتك فقلتَ وطلبتَ من الساقي أن يديرها عليك وعلى ندمائك كأساً عصرت من مُزَّة بابليَّةٍ مختارة من عهد قيصر، وإنها عقارٌ والدها الماء وأمُّها العنب، وهي تشفُّ في كأسٍ بلورٍ رقيق مزعفر، وهنا تثب وثبةً نخشى عليك من الوقوع

فيرتضّ لك عظم لأنك طشت وأوغلتَ في طيشك حتى صورت أن الطيش إذا كان الشخص صاحيا وأما ألذُّ ما في العيش أن تكون سكراناً ولو عكست لأصبت ولكنَّ الذي حدا على هذه المقولة التصويرية هو الطيش.

❋❋❋❋

أول سبعة أبيات من

قصيدة وجه ساقيها

لعمـري مـا تهـيجُ الكـأسُ شـوقي

ولــكن وجــهُ ســاقيها شـجاني

حــسدتُ الــكأسَ والإبــريقَ لمَّـا

بـدا لـيَ مـن يـديَّ رخـص البنـانِ

أمــوتُ إذا أزالَ الــكأسَ عــنِّي

وأحــيا مــن يديــهِ إذا ســقاني

فلـي سُـكران منـه، سـكر طـرفٍ

وسـكرٌ مـن رحيـقٍ خُـسرُواني

تجمَّــعُ فــيه أصــنافُ الــمعاني

فـما يُلفـى لـه فـي الحُـسنِ ثـانِ

إذا ظــفِرَتْ بــه كفِّـي اسـتفادت

لنفـسي عـن تجمعهـا الأمـاني

أعـــزُّ العـــيش وصـــلُ المُـــردِ دهـــري

وبـــؤسُ العـــيشِ وصـــلي للغـــواني

أيها النواسي لا زلنا في سهرتنا التحاورية الفكرية فقد حلى الليل وطال السهر ونبدأ معك في هذه السيمفونية التي صورت فيها صوراً رائعة ولكنك ختمتها بخاتمة إنحرافية؛ وملتَ إلى قوم لوط وأحييتَ بدعتهم فقاتلك الله وإن تبت كما تحدث عنك التاريخ فغفر الله لك وبرغم هذا وذاك سنبدأُ التحاور ودراسة هذه القطعة الرائعة ونحللها ونقف عند الصور الإبداعية والبلاغة الرائعة، وهنا كان موقفك قريباً حيث أن حبيبتك لم تهجك ولم تحرك عواطفك وإنما الذي أثارك وهز عواطفك هزاً حسب تعبيرك هو وجه ساقيك، حتى حسدتَ الكأس والإبريق لأنها لامستهما بنان ناعمة عندما تربتك تشعر بحياة دافئة، وحتى بلغ منك الشوق أنه يحييك إذا سقاك بيده وإذا ابتعدت عنك يده بكأسها كأنك قد غشاك الموت، وأبدعتَ إبداعاً ورسمت صورة رائعة لتصويرك أنك تسكر سكرتين سكرة من طرفه وسكرة أخرى من لمى فيهِ فهنا تجتمع السكرتان واللَّذتان، وصورة السكرتين أنهما تجتمع فيهما كل معنىً من معاني اللذة الحياتية فما لهما فما يعادلهما لذَّة ثانية ولا معنى آخر، وعندما تحسُّ بهاتين اللّذّتين فقد حزت على الظفر.. الظفر السعيد؛ الذي تجمع فيه جميع الفوائد ويغنيك عن كل ما تتمناه في دنياك فهي أقصى شيء عندك في حياتك، فيبدو إنحرافك الجنسي في خاتمتك لهذه السيمفونية فترى أعز الوصل عندك هو وصل الأولاد الحليقين المُرد؛ فيحلو لك العيش طول الدهر أما وصل الغواني فبئس العيش عندك، وهذا من الانحراف الواضح الذي يصور القبيح جميلا والجميل قبيحاً.

قصيدة بين العود والقدح

ولّــى الــصيّامُ، وجــاء الفطــرُ بــالفرحِ
وأبــدتِ الكــأس ألوانــاً مــن المُلَــحِ

وزاركَ اللـــهوُ فـــي إبَّـــانِ دولتـــهِ
مُجــدَّدَ اللــهو، بــين الــعودِ والقــدحِ

فلـــيس يُـــسمَعُ إلا صـــوتُ غانيـــةٍ
مجـــهودةٍ، جــدَّدَتْ صـــوتاً لـــمقترحِ

والخمــرُ قــد بــرزَتْ فــي ثــوبِ زينتِهــا
فالنــاسُ مــا بــين مخمــورٍ، ومــصطبحِ

وقفة أيها النواسي لنتحاور معك في هذه القطعة التي أبديت لنا فيها فرحة وهذا من العجائب ولكن ليس في الدهر عجيب، فالأتقياء يبكون على فراق شهر الصيام أما الفسَّاق فيفرحون بانتهائه لأنهم يحسبونه قيداً ثقيلاً على حياتهم اللهوية الماجنة، فقد أعلنتَ فرحكَ وقلتَ إنَّ رمضان ولى

وانتهى وجاء الفطر بالسرور لأنه حطّم في رأي أبي نواس ومن لفَّ لفَّك كل قيد وجاءت حياة اللهو والمجون وجلوتَ كأس الحُميَّة كأس جميلة تشع بالحسن في رأي النواسي وندماه، وتصور أن اللهو كأنه حبيب زارك مع الفطر في ريعان حكمه ودولته بين شيئين قدح الخمر وأوتار الغناء فهذه الحياة التي هي تملأ فراغك وتغطي جنباتها عليك وتغرقك في بحر دنياها، فلا تسمع في هذه الحياة اللاهية غير صوت تردده غانية وتعزف بكفيها على تلك الأوتار فهي تجدد كل ما غفى من لهوكم وأراد أن يضيع في ضباب صمت عميق أعادته بلحنها من جديد، وصورت ندمانك في هذه السهرة بين شريحتين مخمور ومصتبح بصبوح الخمر.

وقد أعادت لي الذاكرة إقتباس أمير الشعراء أحمد شوقي من النواسي حين قال:

رمـــضان ولـــى هاتِهـــا يـــا ســـاقي

مـــشتاقةً تـــسعى إلـــى مـــشتاقِ

فهنيئاً لكما لما تحملتماه من هذه الصورة الآثمة.

قصيدة كم هي!

كيف النزوع عن الصِّبا والكاسِ

قِسْ ذا لنا يا عاذلي بقياس

وإذا عددتُ سِنِيَّ كم هي، لم أجد

للشَّيب عُذراً في النزول براسي

قالوا شمِطْتَ، فقلتُ ما شمِطَتْ يدي

عن أن تحثّ إلى فمي بالكاسِ

صفراءُ، زانَ رُواءها مخبورُها

فلها المهذَّبُ من ثناءِ الحاسي

وكأنَّ شاربَها لفرطِ شُعاعِها

بالليلِ يكرَعُ في سنا مِقباسِ

وألذّ من إنعامِ خُلةِ عاشقٍ

نالتهُ بعد تَصَعُّبٍ وشِماسِ

فالـــرَّاحُ طـــيبةٌ ولـــيس تمامُهـــا

إلاّ بطـــيبِ خـــلائقِ الجـــلاَّسِ

فـــإذا نَزَعْـــتَ عـــن الغوايـــةِ فلـــيكُنْ

للّهِ ذاك النَّـــــزْعُ لا للنِـــــاسِ

وإذا أردتَ مـــديحَ قـــومٍ لـــم تَمِـــنْ

فـــي مـــدحهم؛ فامـــدح بنـــي العبـــاسِ

ونعود معك والعود أحمد ولكنك في هذه السيمفونية عدت إلى طبيعتك المتأصلة والمتجذرة لحب الخمر فصورت الصور الرائعة التي تخلب العقول وتجذب النفوس لشعرك في رؤيتي لا للكأس فلنبدأ معك تحليل هذه السيمفونية ودراستها. فتصوروا معي عاشقا يهيم في معشوقته كيف يستطيع أن يهجرها وهو في ريعان الشباب وهل لنا قياس نستطيع أن نقيس به هذا العشق ونتصور أن يأتي زمان عليه لينزع عن حياته الدائبة على دوام الخمر فإنها هي معشوقته الوحيد فمقياسنا معطل، ويلتفت الشاعر إلتفافةً خياليَّة ويتناسى عمره فيحسب سنيهُ فلا يعذر المشيب حين عشعش في رأسه وغفى ونزل به، ويلقي بنفسه بالمعاذير في سبيل شوقه للكأس ولو كان أصبح شيخاً لكنَّ يده لم تعجز عن حمل الكأس ودنوه من فمه، وأخذ يصور في بنت الكرم المحبوبة فإنها صفراء تشع في كأسها فهي مخصصة لحسم المهذبين والأحرى به أن يقول أنها تحسى من فم الفاقدين للعقول، ثم

تحين منك لفتةً رائعة في تصوير بنت الكرم وأنت تحسوها فكأنها لضوئها في ذلك الليل المظلم كأنك تحسو من ينبوع أنوارٍ، وهكذا العاشق لا يرى إلا معشوقته ولا يميز بين الليل والنهار، لأنه أغراه هواه وأفقده تفكيره فَتَاهَ في طريقٍ ذات شُعَبْ، وترسم صورة لهذه الكأس فتراها أنها ألذُّ من حياة ناعم عاشق ظفر بمحبوبته بعد عناء ونفور وبرغم ذلك لم تنفره فهي ألذّ عندك بهذا الظفر، راح يسكب في كأس تحسوها في ليلة داعرة فالراح الطيبة عندك لا تتم إلا بطيب جلاسك وهم ندمانك، وتختم هذه السيمفونية بحكمة فتطلب من أي شخص غاوٍ إذا أراد أن يقلع عن روايته فيتوب ويجعل توبته خالصة لوجه الله وهذا من التصوير الرائع الفاضل الذي فيه حكمة وصواب أما بيتك الأخير وطلبك من أي شاعر يريد أن يمدح فلا يمدح أحداً إلا بني العباس فلك عذرك لأنك ربيب البلاط وشاعره .

أول سبعة أبيات من

قصيدة فضلة الكأسِ

دعْــنـي مــن النــاسِ، ومــن لــومهم

واحـسُ ابـنـةَ الـكـرمِ مـع الحاسـي

وابــكِ عـلــى مــا فــاتَ منهــا، ولا

تـبــــكِ علـــى رَبـــعٍ بأوطــــاسِ

فـخـمـــــرةٌ أنـــــتَ لهـــا رابـــحٌ

فـــي حـالـــتَيْ يُـسرٍ، وإفــلاسِ

ريـــحانةٌ مـــن كـــفٍّ ريـــحانةٍ

تزهــو علـــى الخيــريِّ والآســي

يــــكادُ يُعطيـنـــي جـــنَى ريقـــهِ

مـــن فـيهِ؛ لـــولا رِقـبةُ النــاس

ولـيلــــةٍ ســــامرْتُ لــــذَّاتِها

بــــشادنٍ، أحـــورَ، ميَّـــاسِ

نأخـــذُ مـــن صـــهباءَ، كـرخيَّـــةٍ

نكـتالُهـــا، وزنـــاً بمـــقياسِ

لم ننتهِ يا أبا نواس معك من سهرة تصويرية لبنت الحُميَّة إلا لنطوف بسهرة أخرى تدير فيها عليك الكأس حُور أو حوراء وهكذا حياتك اللاهية وقد أخذت الكأس في هذا الوصف فما أدري هل البشر يعشقون اللهو والكأس أو عشقوا شعرك الذي بلغت في تصويرك لبنت الكرم ولياليك بلاغة القمة أو قمة البلاغة، فنعيد الحديث معك ولم نأتِ بجديد ولم تأتِنا بجديد إنما هي صور تعبيرية قد تتباين صورها، أو تتحد أو تكون مزيجاً من عدة ألوان تسكب في كأس واحد، فهنا تخاطب الناس بعدم لومك فيما تقوم به من حسو الكأس فليس لهم لديك وزنٌ حتى تخافهم وتطلب من ساقيك أن تحسو كأسك وهذه مجاهرة صريحة لأن الدولة التي تعيش فيها لا تعاقب على شرب الخمر لأنَّ الفعل من جنس فعل الحاكم، وتلج في تصويرك فتطلب البكاء على الكأس لا على الربوع الدوارس ولماذا تنهى عن البكاء على الربوع الدوارس فتطلب البكاء على الكأس أليس ينطبق عليك:

لا تنـــهَ عـــن خُلُـــقٍ وتـــأتيَ مثلَـــهُ

عـــارٌ عليـــك إذا فعلـــتَ عظـــيمُ

وتصور الربح في الحُميَّ في حالة الغناء والإفلاس ولكنك تختتم هذه

السيمفونية بخاتمة زخم فهي ريحانة عندك من كفٍّ ريحانة هذه الفتاة تفوق جميع الورود والزهور وصف رائع وتصوير بديع، وإنّ الريحانة التي وصفتها في ليلة سمرية قضيت سهرتها بغصن يميس، وأنت تحسو من صهباء يزن لك مقاييسها كل رطل بمقياس حتى أنهيت تلك السهرة وأنت ثمل غارق في لذاتك البيكورية.

****

قصيدة الطلاء

لمّـا أتـوْني بكـأسٍ مـن شـرابهمُ

يـدعى الطِّـلاءَ، صـليباً، غيـر خـوَّارِ

أظهرتُ نُسكاً وقلت: الخمـرُ أشـربها!

والله يعلـمُ أنَّ الـخمرَ إضـماري

آلـى زعيمـهمُ بالنَّـارِ قـد طُـبِخَتْ

يريـدُ مِدْحـتها بالـشَّيْنِ والـعارِ

فقلـتُ مـن ذا الـذي بالنـارِ عـذَّبَهَا

لا خـفَّفَ اللهُ عـنه كُرْبـةَ النـارِ

نفتح سهرتنا مع النواسي ونبدأ السهرة بالحديث معه وبالأحرى مع روحه إذا صح هذا التعبير، فنطلب منه التحدث معنا في هذه القطعة التي لا يزال شاعرنا يتفنن في صور معشوقته الحُميَّة

فعندما قدموا له كأس الطلا وصف صورته بأنه صليب ولم يكن خوَّار

وأخذ يصف بنت العنب ويوغل في وصفه، وحينما رأى الكأس تظاهر بالنسك ليخدع جلاسه ولكنه يسرُّ في ضميره الشراب للكأس،

ووجه نقداً إلى زعيمهم لمّا أقسم أن الحُميَّة طبخت بنار والنواسي ينفي ذلك لأنه يراها بعيدة عن كل العيوب كالشنار والعار، وأردف يرد قوله بدعاءٍ لمعشوقته، وهذا الدعاء يطلب من ربه ألا يعذبها بالنار وإنما يعذب من أراد تعذيبها وهكذا العاشق يتفانى في معشوقته بدون أن ينظر إلى الواقع الحقيقي.

❋❋❋❋

قصيدة شيء عجيب

لو كان لي سكنٌ في الرَّاحِ يُسعِدُني

لما انتظرتُ بشُرْبِ الرَّاحِ إفطارا

الرَّاحُ شيءٌ عجيبٌ أنتَ شاربُها

فاشربْ وإن حمَّلَتْكَ الرَّاحُ أوزارا

يا منْ يلومُ على حمراءَ صافيةٍ

صِرْ في الجِنَانِ ودعني أسكن النَّارا

ونعود الحديث مع الشاعر النواسي في سهرتنا التحاورية التي لم تنفض بعد لنسمعه يتحدث في سيمفونيته التي أبدع فيها وتألق، وصور تصويرا فنياً فهو يتمنى أن يكون له مسكن في بطن الراح فيكون سعيداً وتكفيه غذاءً عن الإفطار فهي الصبوح له بدون عناءٍ أو تكلفة لمد كفِّه ويتناول بها كأساً مملؤة بالحُميَّة، وفاتت عليه لذة اللمس والنظر لأنَّ العاشق قد لا يبصر الواقع المحسوس، وهذه الأمنية غريبة جداً ولكنّ فيها تصويراً ومبالغةً رائعتين، برغم هذه الأمنية أنه يصف الرّاح بأنها شيء عجيب ويبدي لهفة

لشربها وإن حملته آثاماً وأوزاراً، وتصور معي كيف يختم سيمفونيته وهو يخاطب لائميه على احتسائه الصهباء ويعنفهم ويطلب عِوض الجِنان النار في سبيل لذّةٍ شهوانية تموت بانتهاء شربها إذا كان هناك لها طعم أو لذّة وفي تعليقي ورؤيتي أنها ليس فيها لذّةٌ إنما هي حالة من الجنون تفقد المرء اتزانه وعقله فبئس الشاربون لها.

****

قصيدة خلوة الراح

خلـــوتُ بالـــرَّاحِ أُناجيـــها

آخـــذُ منـــها، وأعاطـــيها

نادمتُهـــا إذ لـــم أجِـــدْ مُـــسعِداً

أرضـــاه أن يـــشرَكني فـــيها

شـــربتُها صِـــرفاً علـــى وجههـــا

فكـــنتُ ســـاقيها، وحاســـيها

لـــم تنظـــر الأعـــينُ إلـــى منظـــرٍ

فـــي الحـــسن والظـــرف يُـــدانيها

مـــا زلـــتُ خـــوفَ العـــين لمـــا بـــدت

أنفُـــثُ فـــي كأســـي، وأرقيهـــا!

وقفة معك يا أبا نواس ياشاعر الحُميّة لندرس معاً هذا الوصف الذي صورت فيه خلوتك بمعشوقتك بنت الكرم فلنتحدث معك عندما وصفتَ

خلوّك بمعشـوقتك وغرقتَ في منـاجتها فكان بينكما معاطاةٌ، ويستمر النواسي في سكرته فينادم الكأس حيث لا يرى شخصاً يستحق أن ينادمه فيسعفه ويشترك معه في الشرب، فاحتساها خمرةً صرف غير ممزوجة وكان هو الساقي وهو المحتسي ويوغل في وصفه فيصورها بأنها في أبدع منظر لم تبصر عينه أبهج منها ولا أحسن، ويعوِّذها من الحاسدين ومن نظرات العين فهو ينفث الكأس ويرقيها، وهنا أحب أن أعلق على هذه القطعة لما فيها من صُور متناقضة فالخلوة كما يعبر النواسي بدون ندمان لا تُعد خلوة كما وصفها سابقا بدون جلاس وكيف يكون هو الساقي والمحتسي وقد فقد لذة السقْي ولعله فقد عقله بالسكر فلا يستطيع أن يجمع بين السقي والشرب.



أول عشرة أبيات من

قصيدة رائحة الدنيا

شَجاني وأبلاني تذكُّرُ من أهوى

وألبَسني ثوباً من الضُّرِّ والبلوى

يدُلُّ على ما في الضمير من الفتى

تقلُّبُ عينيهِ إلى شخصٍ من يهوى

وما كلُّ من يهوى هوىً هو صادقٌ

أخو الحُبِّ نِضوٌ لا يموتُ، ولا يحيى

خَطبنا إلى الدهقانِ بعضَ بناتهِ

فزوَّجَنَا منهُنَّ في خَدرِهِ الكُبرى

وما زال يُغلي مهرها، ويزيدهُ

إلى أن بلغنا منه غايته القُصوى

رحيقاً أبوها الماءُ والكَرمُ أمُّها

وحاضِنُها حَرُّ الهجيرِ إذا يَحمى

لساكنها دَنٌّ به القارُ مُشعَرُ

إذا برزتْ منه فليس لها مثوى

يهودية الأنسابِ: مسلمة القُرى

شآميَّةُ المغدى عراقية المنشا

مجوسيَّةٌ، قد فارقَتْ أهل دينها

لِبغضتِها النَّار التي عندهم تُذكى

رأتْ عندنا ضوءَ السّراجِ فراعها

فما سكنَتْ حتى أمرنَا به يُطفى

لفتةً أيها الشاعر العبقريّ فقد حلقتَّ في هذه السيمفونية إلى أقصى قمم البلاغة وصورت فيها صوراً سحرية رائعة فحدثنا عن هذه اللفتة العبقرية، فنقف معك لنتصور كيف هذه الحركة الرائعة وكيف الذكرى تهيج الحبيب إلى حبيبه وتتجسد من شجوى وبلى إنها ذكرى حلوة مرَّة هكذا تفعل الذكرى في قلب المحب لحبيبه وتلبسه ثوباً من الضر لكنه حيك من البلاء، وتثب وثبة ثانية فيها التفاتةٌ تُسمِّر العيون فتشير إلى لفتات العين التي تترجم ما في قلوب الفتيان وتدل بإشاراتها ونظراتها لمن تهواه وتحبه،

وتشير في لفتاتك السحرية على أنَّ الحب لا يكون حباً صادقا إلا إذا دل على غرام الحبيب وصدقه في حبه حتى يكون نضو هوىً، وترفع الستار عن حبيبك الذي عشقته وصورته في هذه السيمفونية وهو خطبتك إلى أحد الدهاقين فحظيت ببنته الكبرى فقرت بها عينك وسكن فؤادُك، وقد غالى أبوها في مهرها حتى بلغ الغاية القصوى وصرحت بوالدها والمخطوبة هي الرحيق ووالدها الماء وأن العنب هي أمها والذي حضنها ورباها هو الصيف الذي يتوهج من حرارة الشمس، وغاليتَ فيها حتى جعلت لها بيتاً يخصها ووهو الدن الذي يوضع فيه الخمر وقسمتها إلى يهودية وشامية وعراقية ومسلمة ولكنها فرت، وإن برزت من بيتها فلا مقر يأويها وهذا التقسيم صورة من الصور التي جاءت في خمرياتك فيها روعة وزخم، وعدتَ إلى تقسيمك فنسبته إلى المجوس ولكنها فرت منهم لأنهم يعبدون النار وكان فرارها خوفاً من النار وعندما سكنت لديك وندمانك لم تستقر حتى أطفئتم السراج، إنها إلتفاتة رائعة ولكنَّ في مرأياتي أنَّ محتسيها لم يخافوا النار التي هربت منها حبيبتكم فكيف هي تخاف النار وأنتم لا تخافونها عجيب وغريب.

قصيدة ريحاننا

نـدامايَ طـولَ الـدّهر خُـرسٌ عـن الخنـا

وعُمـيٌ عـن العـوراءِ نـزهٌ عـن الكِبـرِ

إذا نزفـــوا زِقـــاً أقمْـــتُ مكانَـــه

مـن الـشاصِيات الـسُّودِ محـزوزةَ الظَّهـرِ

تُكِـــنُّ رحـــيقاً مـــن مدامَـــةِ عانـــة

إذا هـي فاحَـتْ أجلَـتْ الهـمَّ عـن صـدري

ويُبـدي لنـا مـن جوفِهـا مـسُّ مَزجِهـا

كألـسِنَةِ الـحيَّاتِ تبـدو مـن الـذُّعرِ

لـــدينا أباريـــقٌ، كـــأنَّ رقابـــها

رقـابُ كـراكيٍ نظـرن إلـى صـقرِ

مُنَـــصَّبَةٌ قـــد قَدَّمـــتها سُـــقاتُنا

وريحانُنــا شـــمُّ الخــدودِ إلـــى الـــنَّحرِ

وقفة تأملية مع الشاعر النواسي في صورةٍ من صور وصفه لابنة العنب فقد دق في وصفه وتفرَّدَّ بهذه الصورة المتحركة وبزَّ الشعراء في هذا المضمار فلنتحدث معه في هذه السيمفونية، فتصور معي وهو يصف ندمانه إنهم خرس ولكنهم ليس خرس الألسنة أنهم في رأي النواسي خرس طول الدهر عن القبائح وعن الكبرياء ولكنهم يحتسون الخمر ومن احتسى الخمر فلا يرتدع عن أي خن أو قبيح فقد روي عن الإمام علي عليه السلام (جعلت الذنوب في بيت ومفتاحها الخمر)، وهو يصفهم في صورته التي هو معجب بها عندما يزقون الدن زقا يأتي لهم بدن آخر مملؤ عوضاً عن ذلك الدن معصورا من جوف العنب، ثم أخذ النواسي يصف الخمر بعد أن وصف ندمانه وصورها تضوع من العطر وهي مجلوبة من قرية تسمى عانة من قرى العراق وإذا سكبت جلت الهم والغموم عن صدر النواسي، واستمر في وصفها فصورها إذا سكبت في الكؤوس ظهرت لهم من جوفها مس مزجها فكأنها كألسنة الحيّات وهي خائفة مذعورة، ثم يصور الأباريق التي تحملها كأنها طيور صغيرة تنظر إلى صقور لتبتلعها، وتلك الأباريق تقدمها السقاة وهم في سكرة وغبطة ولكنَّ ريحانهم هو أن يستاف الخدود والنحر.

أول تسعة أبيات من

قصيدة طاعة إبليس

يـا سـاحر الطّـرفِ أنـت الـدهـرَ وسـنانُ

سـرُّ القلـوبِ لـدى عينيـكَ إعـلانُ

إذا امتحنْـتَ بطـرف الـعينَ مُكتتَمـاً

نـاداكَ مـن طـرفه بالـسرِّ تِبيـانُ

تبـدو الـسرائرُ إنْ عيـناكَ رنَّقَتـا

كـأنما لـك فـي الأوهـام سـلطانُ

مالـي ومالـكَ قـد جزَّأتَنـي شـيعاً

وأنـتَ مـما كـساني الـدهر عريـانُ

أراك تعمـل فـي قتلـي بـلا نِـزَةٍ

كـأنَّ قتلـيَ عـندَ اللهِ قـربـانُ

غـــادِ الـــمدام وإن كانـــت محرَّمــةً

فللـــــكبائرِ عـــــند الله غـــــفرانُ

صـــهباءُ تبنـــي حباباً كلَّمـا مُـــزِجَتْ

كـــأنه لؤلـــؤٌ يتلـــوهُ عِقـــيانُ

كانــت علــى عهــد نــوحٍ فــي ســفينتهِ

مـــن حُـــرٍّ شـــحنتها والأرضُ طوفـــانُ

فلـــم تـــزل تعجُـــمُ الـــدنيا وتعجِمهـــا

حـــتى تخـــيَّرها للخَـــبءِ دِهقـــانُ

وقفةً أيها النواسي لنتحاور معك في سيمفونيتك التي صورت فيها أسراراً للقلوب والعيون فكان القدماء يجعلون العيون هي رسل القلوب إلا أن الشريف الرضي ابتكر معنىً لم تسبق له الشعراء فجعل العين عالماً منفصلاً عن عالم القلوب ولكنّ العين ستبقى تترجم الأسرار وترسل الرسائل الغرامية في رسالات شوقية تختصرها اختصاراً وتصل إلى معشوقها كالضوء في نفاذها لقلب حبيبها بدون أن تطوي مسافات إنما هي نظرات تشير بإشارة سحرية ضوئية فيقرأها القلب الحبيب فنتحدث معك في هذه الأسرار التي لا يصل لها إلا أولئك الشعراء المترفون الذين عرفوا الحياة وصوروها، فمرحباً بك يا أبا نواس فحدثنا وابدأ لندرس معك هذه القطعة، فإني لمعجب بهذه الصورة.

إنَّ السحر في العيون لشيء عجيب فالعين الساحرة هي التي تترجم الأسرار للقلوب وللأشخاص وهذه هبة عظيمة من الله إلا أن الإنسان لا يقدر هذه النعمة فهي من أفضل النعم على البشر تصور معي كيف إنّ هذه الحدقة ينعكس عليها صور العالم بمساحته الشاسعة بينما هي بؤبؤ صغير إنّ هذا سر من أسرار الخالق فالنواسي في هذا البيت الذي يخاطب فيه حبيبه بأنه ساحر الطرف وأنه طول الدهر وسنان ولكنّ مع وسنه أي نومه طرفه كأنه يعلن عن ما في قلبه وحياته، ويولج النواسي ليشرح تلك الأسرار فيوضح صورتها في حرف بليغ فعندما يُمتحن طرفٌ بكتم الأسرار وبرغم ما يكتمه لكنه يبوح لك نداءه بسرِّه في بيان واضح تقرأه، وإيضاح هذه الأسرار عند النواسي لا تبينُ إلا عند الإمتحان، فهنا تبدو لك الأسرار واضحةً مهتوكة إذا رَّنقت العينان فيتغلغل بك الوهم حتى تصير متحكماً في تلك الأسرار كأنّ لك سلطان عليها.

ثم يوجه النواسي نداءً حارّا فيه لوعة وعتاب مرٌّ لحبيبه واستفهام إنكاري لكنه مغلف بإشفاق، فيقول له أي شيء لي وأي شيء لك حتى أصبحت منك مكسيَّاً وأنت عارٍ وهل يقصد النواسي أنه كساه بحبه وشوقه أو ماذا يقصد الله أعلم بهذا السر، ويوغل النواسي ولعله يفسر بهذا البيت ما قبله فيصور فيه أنّ قتله عند حبيبه هو قربان يتقرب فيه إلى خالقه وهو يخاطب حبيبه باستفهام إنكاري: مالي ومالك فيصور حبيبه بأنه قطعه شلواً فشلواً ولكنَّ حبيبه عريان لم يحك له جزء من هذه الأجزاء لباساً يلبسه فهو عريان.

ويخلص النواسي من حبيبه إلى حبيبته في دنياه وهي الكأس التي لا ينساها حتى في أحرج حياته فينادي بصوت جهوريٍّ هذه المدامة أمامي وإنها من الكبائر

ولكنّ الله يغفر الكبائر، وهي صورة في الكأس كأنها اللؤلؤ أو العقيان، ولتقادمها فهي من عهد الطوفان عندما ركب نوح في السفينة ـ تموج بالطوفان ـ وهي موجودة من حرارة شعلة طاقتها حسب تعبير النواسي، وهذه مبالغة سخيفة لا ربط لها بالأنبياء والطوفان لأنهم أجلّ وأرفع فقد خان النواسي التعبير ونزل به إلى الهاوية، ويضيف النواسي لتقادمها رهقة الحياة في تجاربها فعندها أخبار عنها وإخبار وصور متحركة ناطقة منذ الطوفان حتى خبّأها أحد الدهاقين.

****

قصيدة القبَسُ

قــل لمــن يبكــي علــى رســمٍ دَرَس

واقفـاً مــا ضــرَّ لــو كــان جلــسْ

اتـــرك الـــربع وسلـــمى جانبـــاً

واصطــبح كرخِيَّــةً مثــل القــبَسْ

بنــتُ دهْـــرٍ هــجِرتْ فـــي دنِّهــا

ورمـــتْ كـــل قـــذاةٍ ودنَـــسْ

كـــدَمِ الـــجوفِ إذا مـــا ذاقـــها

شـــاربٌ قـــطَّب منهـــا وعَـــبسْ

وقفة معي أيها القارئ لنتصور هذه القطعة التي سخر فيها النواسي من الشعراء القدامى الذين يتباكون على الأطلال أو يتغـزلون في سلمى وهند. إن النواسي يختلف في رؤيته عن الشعراء القدامى الذين هاموا بالأطلال فغزله وهيامه للكأس وللكأس فقط، فاسمعه كيف يصور في هذا

الحرف سخريته ونعيَه على من يبكي على الربوع الدارسه وهم وقوف فيسخر منهم ويعيب عليهم وقوفهم ويوجه لهم استفهاما توبيخياً لماذا يبكون وهم جلوس وفيها أبلغ التوبيخ والسخرية، ويطلب منهم أن يعدلوا عن التغزل فـي المرأة ويبكرون على قبَس يصطبحون بـه، ويختم النواسي قطعته بوصف لحبيبته الخمر فيصورها أنها فتاة مهجورة في بيتها، وبرغم الهجران فإنَّها نقية لا دنس فيها، ولكنَّها بقيت على قِدَمِها لم تتغير كدمِ الجوف عندما يشرب شاربه فإنَّه يقطب ويعبس وجهه ولا أدري هل هذا هو مدح أم ذم، وقد حيرنا النواسي في هذه الصورة المتناقضة وما لنا والخمر اللهم أبعدنا عنها وعن محتسيها.



قصيدة شراب ذهبي

فتَّكـــــتني طيرنابـــــاذَ

وقــــد كنــــتُ تقِيَّــــا

إذ تـركــــتُ المــــاءَ فيهــا

وشــــرِبتُ الـخُــــسرويَّا

أرضُ كــرمٍ تجلِـبُ الدَّهــ

ـــرَ شــــراباً ســــابريَّا

وغــــــزالٍ زانَ بالقــــــا

مــــةِ ردِفــــاً بربــــريَّا

قــــادهُ إبلــــيسُ طوعــــاً

بعـد مـــا كـــانَ عـصيَّا

فـــسقيناهُ علـــى الـــوردِ

شــرابــــاً ذهــبيَّــــــا

وكـشـفنا عــن بيـاضِ الــ

ـــرِّدفِ ثـــوباً قـــصبيًّا

فـوجـــدنا خَلفـــه دِعْـــ

ـــصاً مـــن الـــثَّلجِ نقيًّـا

فـركـبنـــاهُ بـــلا سَـــرْ

جٍ ركُـــوباً مَـــرْوَزِيًّا

وحـمـــدنا الـــسَّيْرَ لـــمَّا

أنْ رأينـــاهُ وطيًّـــا

وقفة أيها القارئ وتصور معي هذه القطعة التي صور فيها النواسي ميوله الإنحرافية فبعد أن وصف الخمر أخذ يوصف الغلام الذي يأتونه دون النساء شهوة منهم وهذا ما يمثل ذلك العصر الذي انحرف فيه الرجال إنحرافاً جنسياً فأخذت المرأة تتزيَّ بزي الذكور وبعض الذكور يتزي بزي الإناث وشعر أبي نواس يعكس ظلاله وأشعته على هذه المرآة الواقعية التي تعكس عصره، فلنتصور وندرس هذه السيمفونية، إنّ النواسي يقول إنّ الخمر وهي المنسوبة إلى محل طيرنابذ فتكته وقد كان من التقاة، فهو عاف الماء وأخذ يتعوض عنه من الخمر المنسوب للخسروية، ويضيف وصفه إلى محل طيرنابذ أنه محل خصب يجيد فيه ثمر العنب لذلك

تكون بنته من أجود الشراب، ويلج بعد وصفه للخمر للساقي الذي يدير عليهم الكأس فيصفه بأنه غزال مستقيم القامة كأنه عمود نور وقد زانه ردفه الثقيل، وقد وسوس له إبليس فقاده للأمر الذي يشتهيه النواسي وتتوق نفسه إليه وكان قد عصي عليه لا يطيعه فيما يطلب منه إلا أن إبليس طوعه له فانقاد كما يريد النواسي، فحانت الفرصة لسقيه من تلك الكؤوس حتى يخضر ويتمكن منه فيما يريدون، فأصبح بين يديهم لا حراك به فحانت الفرصة الذهبية فكشفوا عنه ثوبه ليشاهدوا ما أرادوه، فاستمر في وصفه للدعص وهو العجز فوجده نقياً أبيض كالثلج، فقضى مآربه وصوره كحيوان يمتطيه وهكذا اللوطيون وجدوه مركوباً ثابتاً ليس فيه ما يقلقهم كبعض الحيوانات عندما تركب، فحمدوا ذلك السير لأنّ سيرهم سيراً غير مهزوز.

وهذه الإنحرافات غريبة من شاعر يعرف الحياة ولكنّ الترف والنعمة في ذلك العصر هي التي أغرقتهم فنسوا فعصوا بما أنعم عليهم خالقهم فانحرفوا حتى صاروا من قوم لوط وهذا الشعر يعكس ذلك العصر ويمثله.

قصيدة بستان عمار

يـا حبَّـذا مجلـسٌ قـد كـانَ يجمـعُنا

بطـــيرناباذَ فـــي بـــستانِ عمَّـــارِ

وحـــبَّذَا أُمُّ عمـــار، ورؤيتُهـــا

خـــمَّارةٌ أصبـــحَتْ أُمَّـــاً لخمَّـــارِ

تعلُّلنـــا بمُـــدامٍ قـــد تناوَلـــها

ريـبُ الـزمانِ وعـصرٌ بـعد إعـصارِ

أنَّـتْ زمانـاً كـما أنَّ المـريض ومـا

تُـشفى فـدافعَ عـنها الخـالقُ البـاري

فلـم تـزل حِقَـبُ الأيَّـامِ تُنقِـصُها

حتى اختبا عُشرُها في دَنِّها الضَّاري

كأنمـا شـرِبَتْ مـن نفـسِها جُـرَعاً

فـازداد مـن لونهـا فـي باطنِ القـارِ

لــم تخــطُ مــن خــدْرِها شِــبراً إلــى أحــدٍ

ولـــم تـــزل بـــين جنَّـــاتٍ وأنـــهارِ

وقفة أيها النواسي لنبدأ معك السهرة ونتحاور معك في صورة من صورك التي كررت وصفها في خمرياتك فسجلت صوراً وجسدتَ عصرك.. عصر الترف وعصر المجون نحن لا ننكر أنَّ جانبا علميا قد وُلِد في هذا العصر عصر الحكم العباسي وكان له دوراً تألقيّاً في سماء عاصمة السلام وفي جامعة المستنصر وفي الأروقة الأدبية والعلمية في مدينة بغداد حتى سُمي بالعصر الذهبي، ولكننا لا ننسى الحياة الماجنة التي مثلتها أنت وأمثالك، وشريحة من الحكام فمارستم شهواتكم الشهوانية بحرية لا رقيب عليكم إلا الله وكفى بالله رقيب، ونتحدث معك في هذه القطعة، فقد أعطيت عن هذه المجالس اللهوية ومثلتها في بستان يجمعك وندماك بمحلة طيرناباذ في بستان عمار ولعل هذا البستان كان في عصره من أبدع البساتين بإزهاره ورياضه وأطياره لتتم اللذة.. اللذة المادية التي تفنى ويبقى وزرها، وزاد جمال جلستكم أم عمار حيث إنها خمارة وقد أصبحت لأم خمار وهذا الوصف يروق لأرباب الكأس ولعل فيه سراً نجهله وأنتم تعرفونه، أما رؤيتنا فهي تختلف عن رؤياك، وهي التي تعلُّكم بمدامٍ تناولتها أحداث الزمان ومر عليها عصر بعد عصر، أيها النواسي نقف معك لنحاسبك طويلاً في بقية قطعتك التي أبديتَ فيها سخفاً حيث أنك نسبت إلى ابنة الكرم الأنين والمرض ونزلتها منزلة البشر الذين يشفيهم الله، وهذه صورة سخيفة بالنسبة إلى الشعر أربأُ بنفسي في شرحها وأكملها وأتركها للقارئ ليعلق بها يشاء، وأستغفر الله من هذا الهزيان.

أول ستة أبيات من

قصيدة خمر وعود

بـــادر شـــبابَكَ قـــبل الـــشيب والعـــار

وحثـــحِثِ الكـــأسَ مـــن بكـــرٍ لأبكـــارِ

مـــن قهـــوةٍ لـــم تـــزل تخفـــى، ويحجبهـــا

كـــنٌّ الحرائـــر عـــصراً بعـــد أعـــصارِ

ظلَّـــتْ مـــن الـــدَّهرِ أزمانـــاً مخـــدَّرةً

يـــصونُها كنَـــفٌ مـــن بيـــتِ خمَّـــارِ

مـــن قعـــر أجـــوفَ ذي ســـاقٍ بـــلا قـــدَمٍ

نِيطَـــتْ بـــدنٍّ عظـــيمِ الـــبطنِ هـــدَّارِ

مُمـــازَجُ الخلـــقِ مـــن زِفـــتٍ بِطانَتُـــه

والظَّهـــرُ مـــن فوقـــه بنيـــانُ فخَّـــارِ

فيـــه مُـــدامٌ كعـــينِ الـــديِّك صـــافيةٌ

مـــن مـــسك داريـــن فيهـــا نفحـــة الغـــارِ

ثم نعود معك لنشاهد المشهد الذي يتكرر في صور تكاد تشبه بعضها بعض ومشهدنا هنا الذي صورته أنك تطلب من المدامة المبادرة إلى كأس البكر أو الأبكار وأن يحركوا الكأس بسرعة قبل أن يأتي الشيب والعار كأنما الشيب فيه العار أما احتساء الكأس فلا عار فيه هذه رؤية الغاوين المترفين، وتصفها بأنها قهوة مر عليها قرون وأعصار، وهي مخدرة لا تزال يصونها دن في بيت خمار، وتشرح الصورة التي حفظت في قعر دن أجوف لا قدم له وله بطن متسع له هدير من ابنة العنب، وتضيف في صورتك الوصفية أنّ المدام هي كَعَين الديك صافية ممزوجة من مسكٍ من سمك دارين وفيها نفحة الغار أي عطر الورود، وأريد هنا أعلق على شارح الديوان حيث إنه شرح معنى دارين أنها فرضة بالبحرين فإن يقصد بكلمة البحرين القطيف والأحساء وأوال فشرحه يطابق التاريخ وإن كان يقصد بكلمة البحرين التي تعرف حالياً وكانت في التاريخ السابق تعرف بأوال فقد وقع في غلط تاريخي لأن دارين هي ميناء من موانئ القطيف التي ترسي عليها السفن من قديم التاريخ وكان لها دور تاريخي في التجارة والشعر والأدب حتى قال شاعر جاهلي:

يمـــرون بالـدهـــنا خـــفافاً عيـــابهم

ويخـــرجن مـــن داريـــن بُجْـــرَ الحقائـــب

علـى حـين ألهـى النـاس جـل أمـورهم

فـــنذلاً زريـــق المـــال نـــذل الثعالـــبِ

قصيدة قبل نوح

شـــريتُ الـــفتكَ بالـــثمنِ الـــربيحِ

وبعـــتُ النُّـــسكَ بالقَـــصْفِ الـــنَّجِيحِ

وأمكَنْـــتُ الـــمجانةَ مـــن قـــيادي

ولـــست مـــن الـــمجونِ بمُـــستريحِ

وربَّ مخـــضَّبِ الأطـــرافِ رخـــصٍ

ملـــيحِ الـــدلِّ ذي وجـــهٍ صبـــيحِ

ظـــفرتُ بـــه ونجـــمُ الـــصُّبحِ بـــادٍ

عِـــبَادِيّاً علـــى ديـــن المـــسيحِ

فـــسُرَّ بطلعـــتي لمّـــا رآنـــي

وأيقـــنَ أنـــني غـــير الـــشحيحِ

وقـــام بمـــبْزَلٍ فافـــتضَّ بـــكراً

عجـــوزاً قـــد تجِـــلُّ عـــن الـــمديحِ

رأتْ نُوحـاً وقـد شـمِطَتْ وشـابتْ

وقـد شـهدتْ قُـروناً قـبل نـوحِ

فأسـقيهِ إلـى أنْ مـات سـكراً

ولـم يُـدفَنْ . وعيـشكَ . فـي ضـريحِ

وعودة معك أيها النواسي لنشاهدك في مشهد آخر وأنت تصور لهوك وانحرافك الجنسي في صورة شعرية مجسدة، فلنبدأ معك: لنسمعك كيف تصور حياتك التي بعت فيها فتكك بالثمن الرابح الغير المغبون في رأيك ولم يقف هذا البيع على هذا الربح الخاسر ولكنك بعت نسكك بلهوك الذي عبرت عنه بالقصف الناجح في مرأياتك، وتطبع صورة اعترافية في تمكينك من ليالي المجانة وانقيادك لها انقياد الذليل الخاضع وإنك لم تكن مرتاحاً من تلك المجانة ولم تسترح فتخلد للراحة إنما أنت متعب والكأس والمجانة هما مرضان يعجلان بمصير الشخص للهاوية، وتوغل في انحرافك حتى تصل إلى ما تهواه وهو حب الغلام ذلك الغلام الذي هو ناعم البنان وجهه كمثل القمر، وهو عبادي يدين بدين المسيح، وعندما رآك هلل لك وطفح بالسرور لأنك ستغدق عليه ولم تكن على مآربك شحيحاً، وزانه عندك عندما قام بمبزله فافتض لك بكرا عجوزاً لا تستطيع مدحها لما فيها من جمال وحسن، لأنها لقدمها عاشت ورأت نوح على أنها ولدت ووجِدت قبل نوح فتطاولت عليها العصور وعتقت، فطلبت السقي له حتى يموت من السكر وقسمت بعيشه بأنه لا يدفن في ضريح! وهل يدفن في ماذا؟!.

وإنني لأتعجب من أصحاب الكأس حيث إنهم دائماً يتغنون بقدم الخمر فهل هذه النغمة الغنائية تقليدية أم هي واقعية يجدون في قدمها لذةً، لأننا حسب ما نتذوقه بأن كل شيء طري هو ألذ من القديم ولكن هؤلاء هم أعرف بما يحتسون أبعدنا الله عنهم وعن مجالسهم.

****

قصيدة يمين كاذبة

إن لا تــزوري فــإن الطيــف قــد زارا

وقـــد قـــضيتُ لُبَانـــاتٍ وأوطـــارا

قالــت: لــقد بعــد المــسرى، فقلــتُ لهــا:

مــن عــالج الــشَّوقَ لا يــستبِعد الــدَّارا!

قالــت: كــذبتَ علــى طيفــي! فقلــتُ لهــا:

إذنْ فـــعاديتُ يـــا مكـــنون خـــمارا

ولا نقلـــتُ إلـــى حـــانوتهِ قـــدَماً

ولا نبـــذت إلـــيه الـــنَّقدَ فاختـــارا

ولا رأى شـــفةً منـــه علـــى شفـــتي

إطـــباقَ عينيـــك بالأشـــفارِ أشـــفارا!

قالـــت: حلـــفتَ يمينـــاً لا كفـــاءَ لهـــا

أمـــا تخـــافُ وعـــيدَ الله والـــنارا؟!

ونستمر معك أيها النواسي في سهرتنا فقد حلت معك السهرة وطالت ونقف معك هنا لنتصور مشهدا تحاوريا دار بينك وبين محبوبتك بنت الكرم وكان حواراً تصويرياً فيه من الشعر والبلاغة حرف تعبيري يجسد الخيال والواقع ويصور الشعر البليغ، فحدثنا عن تحاورك مع محبوبتك فقد مثَّلْتَ زيارة طيفها في نومك كما تمثل زيارتها الواقعية في يقظتك، فقد زارك طيفها وقضيت منه ما تحبه من لبانات، وكان جوابها لك أن الطيف لا يشفي وقد بَعُدَ عليك السرى فكان الجواب منك صورة متحركة رائعة إنّ العاشق لا يبعد عليه مكان معشوقه وهو يطوي المسافات طي الضوء ويذلل له الصعاب حتى يصل إلى حبيبه، فيبدع في الصورة فينطقها فتقول له قد كذبت على طيفي، فيرد عليها بصورة مشرقة لو كنت كذبت على طيفك لعاديت مكنونةً من أحب الأشياء لديَّ، ويوغل في إيضاح الصورة لو كان كما تقولين لما سعيت إلى الحانة ولا سخيتُ بالنقود ليختار منها ما يشاء من ثمنٍ قليل أو كثير، ولم تواقع بشفتيها شفتيَ ولا أشفار عيني بأشفار عينيها كل هذا في سبيل محبوبته، فيكمل الصورة بأنها تخيفه بوعيد الله وتحذره من النار التي وقودها الناس والحجارة ولكن النواسي يرسل هذه المقالة وهو في معزل بعيد عن هذه الطريق التي فيها العذاب الطويل.

أول سبعة أبيات من

قصيدة كملها الله

يـــا ليلـــةً بـــتُّ فـــي دياجيهـــا
أُسـقى مـن الـرَّاحِ صـفوَ صـافيها

تـــدورُ بالـــسَّعدِ كأسُـــنا عَجـــلاً
قـــد فُتِّـــتَ المـــسكُ فـــي نواحيهـــا

مـا تـشتهي العـينُ أن تـرى حسناً
إلا رأتـــهُ فـــي كـــفِّ ســـاقيها

وصيفةٌ كـالغُلامِ تـصلُحُ للأمـرينِ
كالغـــــصنِ فـــــي تثنِّيـــــها

فـــي قُرطـــقٍ زانـــه تخرسُـــنُها
قـــد عقرَبَـــت صُـــدْغَها مَـــدَاريها

كمَّلَهـــا اللّه ثـــم قـــال لهـــا
لمـــا اســـتَتَمَّتْ فـــي حُـــسنِها «إيهـــا»

لـو قيـلَ للحُـسنِ صِـف محاسـنَها

مـا اسـطاعَ ضـعفاً بـذاك يحكيهـا

ونعود معك أيها النواسي لنشاهد منظراً لكأسك وندمانك في صورة طبعت على ألوان صور متشاكلة فهي صورة واحدة متكررة فهي وصف لابنة الكرم والندمان والكأس والسهرات الحمراء ولكننا نريد أن نشير إلى بيت من هذه السيمفونية التي تجسد عصرك فهي كمرآة ينعكس عليها ذلك العصر حيث إنك وصفت الفتاة بقولك بأنها وصيفة كالغلام تصلح للائط والزاني فهي تتثنى كما يتثنى الغصن.. الغصن المخضوضر لأنها في ربيع الشباب وقد كثر هذا التصوير في شعرك وبعض شعراء معاصريك لأنكم تعيشون ذلك العصر وتمارسون هذا الانحراف.

قصيدة مللناك

ألا يـــا شـــهرُ كـــم تبقـــى

عرضـــنا وملَلْنـــاكا

إذا مـــا ذُكـــرَ الحمـــدُ

لـــشوَّالٍ ذممنـــاكا

فياليتـــكَ قـــد بنـــتَ

ومـــا نطـــمَعُ فـــي ذاكـــا

ولـــو أمكـــنَ أنْ يُقتَـــ

ـــل شهـــرٌ لقتلْنـــاكا!

وقفة معي أيها القارئ ولكن هذه الوقفة هي وقفة تعجبية من شاعر عاش في مدينة مسلمة بين المسلمين ليكتب شعراً فيه نقد لاذع وأمنيات تفيض بالسأم والملل من شهرٍ هو أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام وساعاته أفضل الساعات فاسمعه في قطعته التي يمجها المؤمنون ويستأنس

بها الفاسقون، فهو يخاطب الشهر الكريم مستثقلاً من بقائه وهو في إعراض عنه وسأم وملل، ويزيد في استهتاره فيحمد شوالاً ويذم شهر الصيام لأن الصهباء قد لا يتحصل عليها بحرية كما يتحصل في شوال، ويتمنى أنه يزول في لحظات أو أسرع من ذلك، وليس له طمع في ذلك الشهر العظيم التي فيه تجب الذنوب وتعتق الرقاب، ويوغل في استهتاره فيزيد لو يستطيع أن يقتل الأيام أو الشهر لقتل شهر رمضان، وتعليقنا على هذه المقولة العمياء كيف صدرت من مسلم يقول الشهادتين ولكنني أقول له إنك لا تقتل الشهر ولكن الشهر سيقتلك بأنه يدنيك من أجلِك، ويا حبَّذا كل الأيام وكل الشهور شهر رمضان على رغم أنف النواسي.

****

سجن الصيام

منـــع الـــصَّومُ العـــقارا

وزوَى اللهـــوَ، فغـــارا

وبقـــينا فـــي ســـجون الـــ

ـــصومِ للهـــم أســـارَى

غيـــر أنّـــا سنُـــداري

فيـــه مـــن ليـــس يُـدَارى

نـــشربُ الليـــل إلـــى الـــصُّبـ

ـــحِ صغـــاراً وكبـــاراً

ونغنّـــي مـــا اشتهـــينا

هُ مـــن الـــشعرِ جهـــارا

اسقِـــني حتـــى تـــراني

أحـــسبُ الـــدّيكَ حمـــارا!

ونعود مرة أخرى إلى النواسي في قطعته الاستهتارية التي صور فيها شهر الصيام الشهر الفضيل كأنه في سجن حيث منع الصوم الكأس وأبعد عنه اللهو حتى غار كأنه لم يوجد، فهو في سجن من الهم والغم أسير كأنه لا حراك له، وتركه للعقار وقصف اللهو مرغم عليه لا طاعةً لله إنما هو خوف من عبد مثله ولا يخشى من كان بيده التصرف والمُلك، وحياة من يخاف منه وموتهما بيد عزيز قادر، ولا نعلم لمن يشير الشاعر للذي يداريه وهو ليس أهل للمدارة، ونسيَ المطَّلِع على ما تخفيه الصدور وخائنة الأعين ولا يواريه عنه حجاب ولا جدار فهو مكشوف أمامه مهما اختفى، وبرغم مدارته لم يترك شربه في الليل فهو يحتسي من الكؤوس صغاراً وكبارا حتى الصباح ولم يشر النواسي هل أنه في نهار شهر رمضان يشرب العقار أم يجعل شربه بالليل حتى الصباح؟، ويرسل الأغنيات من الأشعار جهاراً لا خفية، ويطلب من ساقيه أن يسقيه حتى يبلغ منه السكر لا يفرق بين الديك من الحمار.

قصيدة الهلال

لقد سرَّني أنَّ الهلالَ غُديَّةً

بدا وهو ممشوقُ الخيالِ دقيقُ

أضرَّتْ به الأيّامُ حتى كأنّهُ

عِنانٌ لواهُ باليدين رفيقُ

وقفتُ أعزِّيه وقد دقَّ عظمهُ

وقد حان من شمسِ النهار شروقُ

ليهنِ ولاةَ اللهوِ أنكَ هالكٌ

فأنتَ بما يجري عليكَ حقيقُ

وإني بشهر الصَّومِ إذ بان شامتٌ

وإنكَ يا شوَّالُ لي لصديقُ

فقد عاودت نفسي الصبابة والهوى

وحانَ صبُوحٌ باكرٌ وغبُوقُ

ولنعد مرة ثالثة والعود أحمد مع النواسي ونسأله هل من الصدفة أن يكتب ثلاث قطع كلها عن هذا الشهر العظيم، وكيف اشمئزازه منه وفرحه بانتهائه لما فيه من تضييق عليه من العقار واللهو لا يستطيع أن يجيبنا وأن يشرح لنا وهو خلف جدار التاريخ ونترك هذا الاستفهام عائماً لا نستطيع الإجابة عليه، وندخل معك أيها النواسي في هذه القطعة التي تكررت صورتها بلون غير لوني الصورتين السابقتين ولكنّ هدفهم واحد حيث إنهم يلتقوا في بوتقة واحدة وهو الاشمئزاز والنفور من شهر رمضان، فبدأت تصور استقبالك شهر شوال بوصف دقيق للهلال حيث قلتَ غمركَ السرور عندما لاح هلال شوال وهو ينطلق في صباح ذلك اليوم الذي عبرتَ عنه بتصغير غدوة فكان التصغير هنا من أبدع الوصف والدقة وأضفتَ أن الهلال ممشوق الخيال دقيق وبتعبير تفسيري أنه ابن ليلة، وكأن دقته تصورها أن الأيام أضرت به حتى كأنه بنان لفرس لوت به كفٌّ رقيقة، ولسرورك وشماتتك بانتهاء شهر الصيام وقفتَ تُعزي ذلك الشهر، وشاهدته ضعيف العظم وأشرق شمس ذلك اليوم أول يوم من شهر شوال هو يوم عيد الفطر عيد المسلمين، وترسل تهانيك لأصحاب اللهو لأنه هلك ذلك الشهر وهو في رؤيتك حقيق بالهلاك وشمتَ بهلاكه ورحبت بمجيء شهر شوال لأنه في رؤياك صديق لك، وتعلل هذه الصداقة بأن نفسك عاودتك لاحتساء الكأس واللهو وجس الأوتار والغناء، والصبابة

اشتياق القصف

إذا مـضى مـن رمـضانَ النِّـصْفُ

تَـشَوَّقَ القـصف لنـا والـعزفُ

وأُصلِـحَ النَّـايُ، ورُمَّ الـدّفُّ

واختلفـتْ بيـن الـزناةِ الـصُّحْفُ

لوَعْـدِ يـومٍ ليـس فيـه خُلْـفُ

حـتى إذا مـا اجتمـعوا واصطّفُّـوا

تكـشَّفُوا، واعتنقُـوا، والتَـفوا

فبعـضُهمْ أرضٌ وبعـضٌ سقْـفُ!

ومن العجائب أن نتحاور معك أيها النواسي في حرف يتكرر عن هذا الشهر العظيم فصورتَ فيه شماتتك وضيقك به في حرف مختلف الصور فنقف معك في هذه القطعة الرابعة وأنتَ تشمت فيها بانتهاء نصف الشهر

العظيم وتستقبل النصف الآخر بإصلاح الدفوف والأوتار عِوضاً عن طلب المغفرة فإنه يتضاعف في أواخره الأجر حتى يصل إلى عتق الرقاب من النار فاسمعه يتحدث فيقول، عندما يمضي النصف من رمضان هنا يحلو لك الشوق والقصف واللهو، فتصلح آلات الطرب كالأوتار والدفوف وما يماثلهم من آلات الطرب، وتبادلت الزناة الرسائل بالتهاني فرحين بقرب انتهاء هذا الشهر العظيم الذي يبكي المؤمنون على فراقه، ويضربن بينهم المواعيد ولا يخلفونها فإذا ما اجتمعوا اصطفوا، فتكشفوا عن بعضهم لبعض وتعانقوا فصار بعضهم لبعض أرض وسماء.

هكذا الوصف بدل الدعاء والتهجد في ذلك الشهر العظيم، فسبحان من يمهل ولا يهمل، ونتحفظ عليك أيها النواسي لأنّ التاريخ روى توبتك بعد أن قضيتَ ردحاً من اللهو وأكدها بعض المؤرخين.

قصيدة خمر تتنفس

وقــــهوةٍ مـــرَّة بـــاكرتُ صـــبْحَتَها

وضــوءُها نائــب عــن ضــوءِ مــصباح

حمـــراءُ، علَّقَهـــا بالمـــاءِ شـــاربُها

تُفْــتَضُّ عــذْرتها فـــي بطــن رحــراحِ

ويُثبِــتُ المـــاءُ فـــي حافتهـــا حببـــاً

كالقطرِ يثْبُتُ في حافات ضحضاحِ

تنفستْ فـي وجـوهِ القـوم ضـاحكةً

تــنفُّسَ المِــسكِ فـــي تفلــيحِ تفـــاحِ

وقفةً أيها النواسي لنتحدث معك بعد أن طوينا حديثنا معك في حرفك الذي وقفتَ فيه من شهر الصيام موقفاً غير مؤمنٍ وغير لائق من أي مسلمٍ يقف من هذا الشهر العظيم شهر المغفرة والتوبة شهر العتق من النار فنعود لنتحاور معك في صورك الخمرية التي سجلت فيها وصفك

الإبداعي وإن كان في شيء مزهود عندنا لا نقيم له وزناً ولا معنى ولكن حرفك الإبداعي الذي تجاوز وارتقى إلى قمة البلاغة والتصوير والفن هو الذي دعانا أن ندرس هذه الصور وعصرك الذي عشت فيه وهذه الصور تصوره وتجسده للقارئ فوقفة لنتحاور معك في هذه القطعة، فانت تصور العقار مثل القهوة المرة صبحتَ عليها تباكرها وضووءُها يغنيك عن المصباح فهذا تصوير إلى العقار رائع، فهي تُشف من كأس حمراء مزج بها الماء شاربها وهو الذي يفتض بكارتها وهي لا تزال في بطنٍ رحراح، فهنا النواسي يصور لها منظرا رائعاً فبعد مزجها بالماء طفى عليها الحبب فصارت كأنها المطر الذي يهمي ويثبت في ضحضاح أي الماء اليسير وصور لها النواسي أنفاساً من العطور كأنها قطع من التفاح وللتفاح رائحة عطرة لذلك أوغل في المشبه والمشبه به.

قصيدة تخير الجلاس

نفَسُ المُدامة أطيبُ الأنفاسِ
أهلاً بمن يحميهِ عن أنجاسِ

فإذا خلوْتَ بشُربِها في مجلسٍ
فاكفُفْ لسانَكَ عن عيوبِ النَّاسِ

في الكأسِ مشغَلَةٌ، وفي لذَّاتها
فاجعل حديثكَ كلَّهُ في الكاسِ

صفو التعاشُرِ في مُجانَبةِ الأذى
وعلى اللبيبِ تخيُّرُ الجُلاّسِ

لا نزال نواصل الحديث معك أيها الشاعر النواسي في صورك الوصفية وفي حرفك البلاغي الذي انفردتَ به دون الشعراء في تصويرك لبنت العنب فنتحدث معك في هذه الصورة فحدثنا فقد طابت السهرة معك حيث وصفت المدامة أي الخمر فجلعت لها نفساً تتنفس به هو من أطيب

الأنفاس، وطلبت حمايتها عن الأقوام الأنجاس، وعندما تخلو بكأسك في خلوة ترسل موعظة تطلب فيها أن يكف جلاسك عن عيوب الناس إلا أنها موعظة لم تصدر من قلب خاشع حتى تؤثر في قلوب الناس، وإنما هي موعظة مغلفة باشتغالك بالكأس عن كل شيء كما يشتغل المعشوق بمعشوقته، فالكأس هي لذتك وهي كل شيء عندك لذلك قصرت حديثك عن الكأس وترك عيوب الناس والحديث عن غير الكأس، وتصور حرفاً رائعاً وهو التصافي في أن لا يطال العشير الضرر أو الأذى وعلى المجرب في الحياة اللبيب أن يتخير جلاسه وقديما قيل إنّ القرين يدل على قرينه.

****



باب الغزل

قصيدة محنة الحب[1]

حامِلُ الهوى تَعِبُ
يَستخِفُّهُ الطَّرَبُ
إنْ بكى يَحِقُّ لهُ
ليسَ ما به لَعِبُ
تضحكين لاهيةً
والمحبُّ ينتحِبُ
تعجبينَ من سَقَمي
صحَّتي هي العجَبُ
كُلَّما انقضى سبَبٌ
مِنكِ عادَ لي سَبَبُ

(١) ذكر ابن خلكان أنّ هذه الأبيات أول شعر قاله أبو نواس في صباه.

وقفة أيها القارئ معي لنشاهد النواسي وهو يصور لنا مشهداً مجسداً كشريط سينمائي يتمثل أمام أعيننا ونكاد نمسه بيدنا تصور معي هذا التصوير الرائع الذي بلغ قمة البلاغة وذروة الفنِّ، كيف صور النواسي حامل الهوى وعبَّر بكلمة حامل صور الغرام شيئاً عظيماً ينوء به المحب فهو دائماً تعب من ثقله وإنْ استلذّ بهذا العناء وهذا التعب فهو يعيش في دنيا طرب وفرح برغم ما يعانيه من آلام الحب والشوق، ويبرر له سكب الدموع ويراها حق له لأنه ليس ذا لعب إنما هـو محب برّحه الشوق والجدب، ويجرد من حبيبته طيفاً كأنها معه فيخاطبها بصيغة فيها بوح من الشوق ولهفة من النداء فيصورها بأنها لا يهمها حبيبها ولا تعطف عليه فهي في دنيا من الضحك وفي غفلة لاهية عن حبيبها ولمن حبيبها لا يطيبُ له عيش ولا حياة فهو في نحيب وعويل، ويثب النواسي وثبة عبقرية في حرف تصويري فيه من الزخم والبلاغة فيخاطب حبيبته كيف تعجبين من سقمي وأنتِ في هجر بعيدة عني ولا تعطفين عليَّ فإذا كنت في حياة مهجورة صامتة ليس للحبيب فيها إشراقة فصحتي هي الأعجب لا سقمي، لأنّ العوامل التي تسبب ليَّ السقم وتبعد عني الصحة هي العوامل التي تخلقيها في طريقي وتنثريها أشواكاً فإنه كل ما انقضى سبب للوصول إليك خلقت سبب آخر يبعدني عنكِ.

قصيدة ميعاد!

جَـــفنُ عيـــني كـــادَ يـــسـ
ـقُطُ مـــن طُـــولِ مـــا اختلَـــجْ
وفـــؤادي مـــن حَـــرِّ حُبِّـــ
ـــكِ والـهـــجر قـــد نَـــضَجْ
خَبِّريـــني ـ فَدتْـــكِ نَفْـــ
ـــسي وأهلـــي متـــى الـــفرجْ؟
كـــان ميعـــادُنا خُـــروجَ
زيـــادٍ، وقـــد خـــرجْ
أنـــتِ مـــن قتْـــلِ عائـــذٍ
بـــكِ فـــي أضْيـــقِ الحـــرج

ونستمر معك أيها النواسي في سهرتنـا التحـاورية ونمضي معك في حرفك الذي صورت فيه بعض لذّاتك وشهواتك، حيث إنّ جفنَّك من

كثرة الاختلاج به كاد أن يسقط ويهوي من وجهك، وقلبك من الشوق المسعر لهيباً كاد أن ينضج فؤادك من ذلك اللهيب المستعر، ولا يلام العاشق في حب معشوقته فهنا النواسي يفدّي حبيبته بنفسه وأهله في سبيل الوصول لها فيكون له الفرج المؤمل المحبوب، وهذه القطعة يتغزل بها في معشوقته جنان التي هي جارية آل عبد الوهاب الثقفي وعندما جاء أبو نواس البصرة وسّط لها رسل ليقنعوها بلقاءه فلما ضاقت ذرعاً برسله ضربت بينها وبينه موعداً حتى خروج زياد أخي مولاتها في سفر من أسفاره ولكنها لم تفِ له بالوعد فقال هذا البيت:

أطوف بقصركم في كل يوم

كأنّ لقصركم خلق الطواف

ولشدة الشوق الذي سعَّر قلبه يخاطب محبوبته لتعطف عليه وترق له فهو يرى نفسه من هجرها له أصبح في حياة من أشد وآلم حرج يعيش بها.

قصيدة الجمال المتجدد

وذاتِ خَـــدٍّ مُـــورَّدْ

فتَّانـــــةِ الــــــمتجددْ

تأمَّـــلَ النـــاسُ فـــيها

محاسِـــناً لـــيس تنفَـــدْ

الحـــسنُ فـــي كـلِّ جُـزءٍ

مـــنها مـــعادٌ مـــردَّدْ

فَبعـــضُه فـــي انتـــهاءٍ

وبعـــــضُهُ يتَولَّــــــدْ

وكلمـــا عُـــدْتَ فـــيه

يكُـــونُ بالـــعَوْدِ أحمـــدْ

فاشْـــربْ علـــى وجـــهِ بـــدرٍ

ريَّـــانَ غـــير مُعرْبِـــدْ

ونطيل السهرة معك أيها النواسي فقد حليَ السمر ولذَّ الحديث لنتغنى معك في أغنيتك الغرامية اللحن الثاني الذي عزفت فيه أوتاراً باكية ترسلها في هدأة الليل الصامتة إلى حبيبتك جنان فأنت في لهفة وشوق لها وليت الزمن أسعفك بالظفر بها ولوظفرت بها لقلبت حياتك من انحراف جنسي إلى حياة جنسية طبيعية وأبدلتك من إدمانك للكأس من حياتك الغائمة إلى حياة صحو، ولكنّ الزمن لم يساعدك فظللت في طريق شقائك وليلك المظلم المبطن باللهو والقصف، فلنتصور معك وأنت تكتب هذا الحرف فتصف جنان بأنها ذات خدٍّ يحكي الورود وتفتن العيون عندما تتجرد فتلوح في جسم طري يسمر العيون، فهنا يشف الجمال ويظهر في معانٍ إذا تأملها الناس لا تنتهي ولا تنفد، فيشاهدون الجمال والحسن في كل جزء من جسمها يتردد في صدرها في فمها وفي وجهها وفي يدها، وقسمتَ الجمال إلى قسمين قسم من الحسن ينتهي وقسم منه يتولد فهي في جدة من الحسن والجمال، وكلما نظرت إلى ذلك الجمال وراجعته تجد فيه معانٍ جديدة فالعود أحمد من أول نظرة، وتختم قطعتك بحسو الكأس لتكمل عندك اللذَّة لأنك تحتسي الكأس وأنت تنظر إلى وجه ينير كالقمر بدون عربدة لئلا تنفر الحبيبة منك.

قصيدة عند الحجر الأسود

وعاشـــقينِ الـــتفَّ خَـــدَّاهُما

عِنـــدَ الـــتثامِ الـــحجَرِ الأســـودِ

فاشـــتفيا مـــن غـــيرِ أنْ يأثمـــا

كأنَّـــما كانـــا علـــى موعَـــدِ!

لـــولا دِفـــاعُ النـــاسِ إياهمـــا

لمـــا اســـتفاقا آخـــرَ المُـــسْنَدِ

ظِلنـــا كـــلانا ســـاتِرٌ وجـــهَهُ

- مـــما يلـــي جانبَـــه - باليـــدِ

نفعـلُ فـي المـسجدِ مـا لـم يكُـنْ

يفعلـــه الأبـــرارُ فـــي المـــسجدِ

أيها النواسي إنّ سهرتنا سهرة حب وغرام إنك عشقت جنان وهِمتَ بها
وكانت أمنيتك التي لم تظفر بها فصورتها في أوتار حنونة تتدفق عشقا وهياما

وتنبع من قلبٍ صادق في حب واقعيٍّ ليس فيه تصنع فالشعر يصور فيه اللهفة والحرارة وما ارتأيناه من رؤية سجلناها يؤيدنا في رأينا موقفك في أخطر محلٍّ كشفت فيه العذار ونسيتَ كل حرمة عندما التقيت بجنان وهي تطوف بالبيت العتيق الذي فيه تغفر الذنوب وتمحى الخطيئات ومن دخله كان آمنا ولو كان قاتل أبيه لكنك هتكت الستار ولحقت جنان حتى التقيت بها عند الحجر الأسود وبحيلة منك عندما هوت لتقبيل الحجر انتهزت الفرصة غير السعيدة بل هي فرصة الشقاء لك، فهويت لحجة تقبيل الحجر فوضعت خدك على خدها وصورت هذا المشهد في حرف تصويري كأنه شريط سينمائي ينقل النظّار وكأنهم يشاهدون هذا المشهد مجسداً أمام أعينهم تصور عاشقين التقى خداهما وكانت يدهما ستراً عن النظار ولم يفق، فكان هذا اللقاء شفاء من الحب واللقاء بغير موعد قد يكون أهنأ من الانتظار، وصورت من لذّة السكرة لولا زحام الناس ودفع بعضهم بعضا لما أفقتما من هذا اللقاء حتى آخر الدهر، وكان ستركما لأيديكما وكيف هذه الصورة التي صورتها إنها لصورة عجيبة غريبة ولكنك وثبت في هذا الحرف وثبة العبقري الذي صور الفن في حرفه، وأنتما تفعلان شيئاً لا يفعله الأبرار في المسجد الحرام وأنا أشكُ كل الشك أنك ظفرت بجنان هذا الظفر لأنَّ جنان لا تميل إليك بل تنفر من حياتك الداعرة الماجنة، ويؤيد رأيي ما قمتَ به من جهد وواسطاتٍ وشعرٍ على أن تلتقي بها ولو نظرة واحدة فقد تلين وتضرب بينك وبينه موعداً ولكنها تخلفه فلم تتحصل منها على نظرة إلا في ذلك المأتم الذي سرقت النظرات منها وهي في غفلة حزينة باكية ووصفتها في ذلك المنظر وجسدته منظراً رائعاً فكيف تخلد إليك هذا الخلود وتبادلك هذه الغفوة.

قصيدة أنين!

اللّه مولــــى دنانـــيرٍ ومـــولائي

بعينــهِ مَــصبحي فــيها وممــسائي

صَلــيتُ مــن حبِّهــا نــارينِ واحــدةً

بــين الــضُّلوع وأخــرى بــين أحــشائي

وقـــد حَميــتُ لــساني أن أبــينَ بـــه

فمـــا يعبِّــرُ عـــني غـــيرُ إيمـــائي

يــا ويــحَ أهلــيَ أبلــى بــينَ أعيــنهم

علــى الفــراشِ ومــا يــدرُونَ مــا دائــي

لو كان زُهدك في الدنيا كزهدك في

وصْـلي مـشيتِ بـلا شـكٍ علـى المـاءِ

ونعـود مع النواسي لسهرتنا لكنها ليست سهرة وصفية للكأس كما عودنا الشـاعر النواسي إنما هي سهرة وصفية لحب نمى ونبـت في قلب

النواسي كما تنبت الأصابع في الكف لكنه حبٌّ عاثرٌ لأنّه منحرف الهوى، وهنا حبيبته ليس جنان إنما هي دنانير التي هام بها، وكتب فيها قطع سحرية تصور جواه ولهفته الشائقة التي يشرب منها العشاق كؤوساً فتسكرهم وتعذبهم حتى يعيشون في حياة معذبة وليلٍ جاحم، ولكنّ النواسي ذاب وانحلَّ في جنان ودنانير وتغنى بجمالهما أغنية الحب، فلندخل إلى محرابه الغرامي ونقرأ هذا الحرف: فيفتتح هذا الحرف بأن خالقه هو مولاه ومولى حبيبته دنانير في كل صباح ومساء وهذا قول حق لا مرية فيه إنّ الله هو مولى كل عبد لأننا ملك له ملكاً حقيقياً يتصرف في عبيده كيف شاء وكيف يريد لأن الملك له وحده لا شريك له، فهو يعيش من حبها على جاحم من مجمر نارين نار في ضلوعه ونار في أحشائه فكيف يستطيع أن يحيا ويعيش شفاك الله يا نواسي من الحب العارم، وهذا الحب الذي تغلغل في قلبه يكتمه ولا يبوح به ولا ينطقه لسانه فهو يشير له بالإيماء وقد يكون الإيماء أبلغ من النطق لأن الإيماء فيه صور من معانٍ كثر لا يفهمها ولا يقرؤها إلا عيون العاشقين، وينتقل من وصفه من حبه لحبيبته إلى خطاب أهله بلهفة، فهم لا يعرفون ما به من داء وهو مومياء ممدد على فراشه، هكذا يبلغ العاشق الدنف في عشقه إلى حياة الموت، ثم ينتقل إلى حبيبته في عتاب مر ويصور لها أن لو كان زهدها في الحياة كزهدها في الوصال له لمشت على الماء وبدون أن يغرقها الماء.

قصيدة هجر!

وقائلةٍ لي: كيف كنتَ تريدُ
فقلتُ لها: أن لا يكونَ حسُودُ

لقد عاجَلَتْ قلبي جنانٌ بهجرها
وقد كان يكفيني بذاكِ وعيدُ

لعلَّ جناناً ساءَها أنْ أحبَّها
فقل لجنانٍ ثابتٌ ويزيدُ

فسخطك في هذا على النفس هيّن
ولكنَّه فيما سواهُ شديدُ

رأيتُ دنوَّ الدَّارِ ليس بنافعٍ
إذا كانَ ما بين القُلوبِ بعيدُ!

ولا تزال سهرتنا مع النواسي مستمرة في ليالي الحب والعشق التي صورها النواسي حرفاً خالداً ولحناً عذباً يفيض بالألم والأنين فنعود لهذا

الحرف الغزلي الذي رسمه النواسي صورة غرامية في حبيبته جنان:

فأرسلت نداءً حنوناً تخاطبه أي شيء تريده فكان الجواب لهذا التساؤل والنداء أنه لا يريد الحسود، وأنه يصور الهجر لحبيبته الذي تعجلت به فأجحمَتْ قلبه وهو يكفيه منها ولو كان وعداً كاذبا غير صحيح يخفف من جاحم لهيب حبه، ويصور النواسي حبه في رأي حبيبته جنان لعله رأته إساءة لها وهو يراه ليس بإساءة فأراد تطمينها فوجه لها جوابا أنَّ حبه لها ثابت لا يزول وفي كل يوم يزداد حباً وهياما، ويصور سخط حبيبته بأنه هين على النفس إذا لم يعقبه هجر أما إذا كان فيه هجر فهو ليس بهين على نفسه وهو من أصعب الأشياء عند المحبين، ويرسم أبو نواس التفافة في صورة رائعة أنّ قرب الدار لا تفيد الحبيب قربها إذا لم يكن في القلوب رغبة تبادل حب بحب.

قصيدة جلوة العروس

شَـــهِدَتْ جلــوةَ العـــروسِ جِنـــانٌ

فاستمالـــتْ بحـــسنِها الـــنظَّارَهْ

حـــسَبُوها الـــعروسَ حـــين رأوْهـــا

فـــإليها دون العـــروسِ الإشـــارهْ

قـــالَ أهـــلُ الـــعرُسِ حـــين رأوهـــا:

مـــا دهانـــا بهـــا سِـــوى عمَّـــارهْ!

وسهرتنا أيها الشاعر لا تزال مفتوحة نتناجى فيها معك في لياليك الغرامية التي صورت فيها حبك لجنان في حرف صورتَ فيه مشهداً شهدته جنان لعروس جُليَتْ فأخذت جنان الغيرة فطلعت عليهم ففتنت النظار وبُهِتَتْ العروس أمام جمالها، وعندما رأوا جنان افتتنوا بها وحسبوها أنها العروس، وكانت تشير إليها العيون والقلوب، فاستاء أهل العروس من هذا المشهد لأنه غطى على عروسهم فتذمروا من ذلك المشهد وقالوا لقد

نغصت علينا عرسَنا جارتُنا فماذا دهانا من عمّاره، ويحلو لنا أن نتمثل ببيتٍ ينطبق على هذا المشهد إن كان واقعياً أو خيالياً:

وكم في الخدر أبهى من عروسٍ

ولكن ساعد الزمنُ العروسَ

****

قصيدة نسيان

يـــا مُنـــسيَ المـــأتِمِ أشـــجانهُم

لـمـــا أتاهُـــم فـــي المعزّينـــا

حَلَّـــتْ قِنـــاعَ الوشـــي، عـــن صـــورةٍ

ألبَـــــسها اللهُ التَّحاســـــينا

فاستفْتَنَتهُـــــنْ بتمثالهـــــا

فهُـــنَّ للتكلـــيفِ يبكـــينا

حـــقَّ لـــذاكَ الـــوجهِ أن يزدهـــي

عـــن حُـــزنهِ مـــن كـــان محزُونـــا

وقفة أيها النواسي لنفتتح معك سهرتنا ونتناجى كما تتناجى الأرواح لا نجوى الأشباح للأشباح فنصور لك مشهداً في حرف تعبيري يصور حبيبتك في هذا المشهد التصويري هو مشهد حزن اهتبلتَ فرصته فصورتَ ذلك المنظر الكئيب غير أن ريشتك أبرزته منظراً دراميا له ألوان من الصور

فهو في صورة حزن تتلوه صورة تمثيل تعجز ريشة الفنان عن تجسيده تصوروا معي أيها القراء كيف هبطت مفاجأة في هذا المشهد عندما دخلت حبيبته جنان المأتم الحزين قلبت هذا المأتم إلى بهجة تنسي أحزان المحزون وكيف أنست المعزين هذه الأشجان عندما نضَّت قناع الوشي فبانت تلك الصورة التي تفتن العيون وتخلب العقول في جمال أبدعه الله وتبارك الله أحسن الخالقين ويثب النواسي وثبة عبقرية عندما صور أنها فتنتهنَّ بتمثالها كأنها فنان في يده إزميل نحت تمثالا لها فسمَّر العيون في ذلك التمثال، فمن شدة الفرح كأنهنَّ من ذلك التكاليف الذي أطال النظر وسمَّره في ذلك التمثال يبكين، ويعلل النواسي بتبديد الحزن عن وجوه تلك المعزيات بنظرهم إلى وجه جنان فبالنظر إلى وجهها كانت سلوةً لهم فزالت عنهم الأحزان، والشجون وهو حقيق بذلك الفعل.

قصيدة سأتركه!

سـأتركُ خالـداً لـهوى جنـانِ

وإن جَـلَّ الـذي عنـهُ أتـاني

فقُـل مـن بعـدِ ذا مـا شـئْتَ أو زِدْ

فـقد أمـسيتَ منـي فـي أمـانِ

لـقد أغلـقت بابَـكَ دُونَ ظَبـيٍ

ختمـتَ بمقلَتيـهِ علـى لـساني

ولا زلنا في سهرتنا مع النواسي نسامره في غرامه الذي عبَّر عنه أبدع تعبير وجسده في حرف ناطق بسر الحب لحبيبته جنان التي أعادته عن انحرافه الجنسي ولو أياماً معدودات وفي تصويري لو ظفر بها لعدّلته واستقام كما تشاء له الاستقامة ولكنّ الزمان حرمه ولم يحرمه من هذا الحرف التصويري الخالد فبقي يصارع الحياة ويعيش مع الأجيال يدور معها حيث تدور الشمس، فندخل معه إلى محراب الشعر ونصور هذا الحرف الذي يتغزّل ويشبب بحبيبته جنان فهو يحاول أن يتهم مولى جنان محمد بن خالد

بحبه لجنان، وبرغم ما يعرفه أبو نواس عنه من أخبار عظيمة نُميَتْ له لا يحفل بها ولا يقيم لها وزناً،ويضيف النواسي فيطمئن مولى جنان أنه مهما عرف عنه من أنباء واقعية فهو في آمان منه لا يضيعها حديثاً في شعره ولا ينبث بها إكراماً لحبيبته جنان، والسرُّ في طمئنته أن محمدا أوصد الباب على هذه الظبية الجميلة التي مقلتيها الساحرتين ختمت على لسان النواسي وأبكمته.

****

قصيدة حلم جميل

إذا التـقى فـي النَّـومِ طيفـانا

عـادَ لنـا الوصـلُ كـما كانـا

يـا قُـرَّةَ العيـنـينِ، مـا بالُنـا

نـشقى ويَلْتـذُّ خيالانـا

لو شئْت ـ إذ أحسَنْتِ لي في الكرى

أتممـتِ إحـسانَكِ يقظـانا

يا عاشقَينِ اصطَلحَا فـي الكرى

وأصبـحا غَـضْبى وغـضبانا

كذلِـكَ الأحـلامُ غَـدَّارةٌ

وربَّمـا تـصدُقُ أحيانـا

لا زلنا معك أيها النواسي في سهرتنا السمرية التي صورت فيها حرفك في الحب تصوير عاشقٍ هيمان بلغ من الحب نضوى هوىً فأنت في تصويرك

للحب قد ارتفعت فيه إلى ذروة تصويرك في العقار فهذه القطع الموسيقية التي جسدتها في حب جنان، ولعلها الحِب الوحيد الذي همت في غرامه هياماً حتى الجنون وكنت في حرفك قيس ليلى فتصور معي هذا الحرف التعبيري الذي صور فيه النواسي كأنّ جنان زارته في الحلم طيفاً وطمأنته أنها رضيَتْ عنه فهزه الشوق هزاً فكان هذا الوتر الحنون الذي انبعث من حب تجسده صورة خيالية حتى حولته إلى دنياً من الواقع، يصور النواسي كيف زارته جنان في النوم ولكنها زيارة طيف لطيف فهذه اللُقيا هي متعة من متع الحب لأنها لُقية تعيد الوصل كأنه في اليقظة، فالوصل في اليقظة من أقصى أماني المحبين، أما طيف المحبين في الخيال ففيه سعادة ولكنه يجحم القلوب ويشعل العواطف ويذكي وهج الحب في مجمر الهجر، ويثب النواسي فيوغل في التصوير والإبداع فيخاطب محبوبته بنداء عاطفي يتدفق وتراً حنوناً يا قرة العين لماذا نشقى في الحب وينعم خيالي وخيالك لماذا لا يكون العكس فننعم بالنعيم الحقيقي الوقعي إنه لَتعبير فيه زخم ورقة وفن، ويفسر هذا التصوير بحرف يجسد الحنان والحب إنكِ أيها الفاتنة قدرتِ على إحسانك لي في الكرى فالذي يستطيع أن يحسن لحبيبه في النوم هو أقدر على أن يحسن إليه في اليقظة، فهو أتم وأفضل وأجمل،ويصور حياته العشقية وحياة جنان العشقية أنهما اصطلحا في النوم وتصافحا لكنَّ هذا التصافح وهذا الصلح لم يدم ولم يطل، فعندما أشرق الصباح يحبو وليداً على الأفق أصبحا غضباناً وهي غضبة هكذا العشق وهكذا الحب هل يستعذب العاشقون العذاب في الحب؟ إنهم يستعذبون ذلك، وإنّ الحلم له حالتان قد يغدر بصاحب الحلم وأحياناً يكون ما رأه صاحب الحلم في الكرى صادقاً يجسده الواقع.

قصيدة قناعة!

قَنِعْتُ إذ نلتُ من أحبابيَ النَّظَرَا

وقلتُ يا ربِّ ما أعطيتَ ذا بشرَا

لم يبقَ منِّيَ من قرْني إلى قدمي

شيءٌ سِوى القلبِ إلاّ هنَّأَ البصرا

يا ويح مَنْ لا يُبالي عينَ مُبصرِهِ

ألاّ ترى معه شمساً ولا قمرَا

ويطلع علينا النواسي طلعةً إبداعية تندُّ بالعطر وتفيض بالقناعة إنه يقنع من أحبابه ولعلها جنان حيث لم يصرح بذلك يقنع منها بنظرة إذا سمح له الزمان فنالها، فهو يحمد ربه بهذه النظرة لأنه حسب رؤيته لم يتحصل على هذه النظرة بشر فيغبط نفسه بتلك النظرة، فهذه النظرة غمرته بسعادة من قرنه إلى قدمه حتى أنّه هنَّأ قلبه بصره، فهذه الغبطة التي هزت كيانه عندما وقع بصره على مبصره فويح له إذ يرى معه شمساً أو قمراً فأضواؤه غطت على الشمس والقمر فلا يرى إلا ذلك الوجه لحبيبه لأن الشمس والقمر اختفيا وراء تلك الأضواء التي انبثقت من ذلك الوجه الحبيب.

قصيدة مسكين

أيــن الــجوابُ وأيــن ردُّ رســائلي

قالــتْ تنــظَّرْ ردَّهــا فــي قــابلِ

فــمدَدْتُ كَفِّــي ثــمَّ قلــتُ تــصدَّقي

قالــت نعــم، بحــجارةٍ وجــنادلِ

إن كنــتَ مِــسكيناً، فــجاوز بابنــا

وارجــع، فمــا لــكَ عنــدنا مــن نائــلِ

يــا نــاهِرَ المــسكينِ عــندَ سُــؤالهِ

اللّهُ عاتَــبَ فــي انتــهارِ الــسائلِ

ولا زلنا في هذه السهرة الحبيبة التي لذَّ فيها الحديث وطاب فليل الشتاء ليل حبيب يغرقه السمر والهدوء والحديث في الشعر (وما الحب إلا الليل والبيداء والشعر)، فنحن نصور حرف حب كأننا نعيش في القرن العشرين أو الواحد والعشرين ونعيش مع نزار أو أمثاله فالنواسي هنا

يطالب حبيبته بردِّ الجواب على رسائله الغرامية التي تختصرها القلوب والعيون في إشارات رمزية ضوئية تلج للقلوب بدون استئذان فيقول أين الجواب والردود للرسائل التي كتبتها لك وأرسلتها، فيجيب على لسانها تطلب منه التمهل والانتظار حتى يصله الجواب وفي هذا الإنتظار الموت القاتل تدريجاً والحسرة واللهفة لتنشق عطر الجواب، وعندما قتله الشوق وعصرته اللهفة لسرعة رد الجواب مدَّ كفه طالباً التصدق عليه لكنَّ جوابه كان حجارة وجنادل، وتسخر منه حبيبته في دَلٍّ فتخاطبه إن جئتنا في صورة مسكين ووقفت ببابنا فليس لك ما تتمنـاه من نائل بل ارجع محروماً، فالنواسي يرجع إلى كتاب الله ليخيف محبوبته ويذكرها كيف كتاب الله نهى أن ينهر المسكين حيث قال عز من قائل (وأما السائل فلا تنهر).

قصيدة أسير !

نابـذْتُ مَـنْ باصـطباري عَنـكِ يـأمُرُني

لأنَّ مثلَـك رُوحــي عنــه قــد ضــاقا

ما يرجـعُ الطَّـرْفُ عنهـا حـين أُبـصرها

حتــى يعُــودَ إليهــا الطَّــرفُ مُـشتاقا

ولا زلنا معك يا نواسي في حرفك الغرامي الذي صورت به حبك وأبدعتَ فيه صورك المتلونة التي كلها فنٌّ وإبداع، فلنتحدث معك في هذا الحرف فنبدأ، فيخاطب حبيبته فهو يخاصم وينابذ كل من أمره بالتصبر عن حبيبته لأنها هي روحه التي لا يستطيع أن يتجرد منها ثانية فهو يضيق ذرعاً بهذا القول التصبري، فكيف يهدأ طرفه عنه أو يتصبر وطرفه لا يكاد أن يتحول من النظر اليها إلا أن يعود إليها بلهفة وشوق أكثر من ذي قبل وأشوق من النظرة الأولى.

قصيدة حوار

وقـــصريةٍ أبـــصرتُها فـــهويتُها

هـوى عُروة العـذريِّ والعاشـق النجـدي

فلمَّـا تمـادى هجرُهـا، قلـتُ: واصـلي

فقالـتْ: بهذا الوجـهِ نرجو الهوى عندي

فقلـتُ لهـا: لـو كـان في السُّوقِ أوجُـهٌ

تُـباعُ بنقـدٍ حاضـرٍ، وسـوى نقـدِ

لَغَيَّـرْتُ وجـهي، واشـتريتُ مكانَـهُ

لعـلكِ أن تَهـويْ وصـاليَ مـن بـعدِ

وإن كنـتُ ذا قبـحٍ، فـإنيَ شـاعرٌ

فقالـت: ولـو أصـبحتَ نابغـةَ الجعـدي

ولا زلنا معك أيها النواسي وأنت تتفنن في صور الحب فنطوف بها مشهداً بعد مشهد ومنظراً بعد منظر كأننا نشاهد ممثلاً على خشبة المسرح

وهو يرسم أدواراً للحب مختلفة الصور والألوان فلنرفع الستار عن هذا الحرف لنشاهد كيف رسمت لنا هذه الصورة في هـذا الحرف، عندما أبصرتَ فتاةً من فتيات القصر ووقع حبها في قلبك كما يسقط الطل سحراً على ثغر الزهور في ليالِ القيظ، ولكنَّ حبك كان حبا عذريا كحب عروة وقيس، وعندما طال الهجر منها طلبت منها الوصل فكان جوابها أنها لا تريد وصلك لأنك تحمل وجهاً قبيحاً لا يعجبها، فحانت منك إلتفاتة ونكتة بلاغية حيث عبرتَ لو كانت الوجوه تباع في الأسواق لابتعت لك وجهاً بنقدٍ حالٍ أي بالدراهم أو بسوى نقد، ولو استطاع لغيَّر وجهه وأبدل نفسه بوجه آخر حتى تصله بعد هذا التغيير، ولمّا لم تستطع على تبديل هذا الوجه بالشراء أو بغير الشراء فعزى عليك هذا التبديل لأنه لا يستطيع أن يبدله إلا خالقه أعطيتها صورة عنك أنك شاعر حساس لكنها لا تريد هذه العبقرية الشاعرية ولو كانت شاعرية النابغة الجعدي الذي ضرب بشاعريته الأمثال.

قصيدة تضحكين فأبكي!

مـــلأتِ قلـــبي نُـــدُبا

فـــصِرتُ صـــبّاً كـــئيِبَا

علّـــمتِ دمـــعي سَـــكباً

ومقلـــــتيَّي نحيـــــبا

مـــا مـــسَّكِ الـــطيبُ إلا

أهـــديت للـــطيبِ طـــيبا

عَـــدَدْتِ أحـــسنَ مـــا فـــيَّ

يـــا ظلـــومُ ذنُوبـــا

أقـــمتِ دمعـــي علـــى مـــا

يطـــوي الـــضّميرُ رقيبـــا

وتـــضحكينَ فـــأبكي

طلاقـــةً وقطوبـــا

ألــقيت مــا بــينَ طرفــي

وبيـــن قلـــبي حُـــروبا

بيـــن الجـــوانحِ نـــارٌ

تدعـــو الـــغزالَ الـــربيبا

فـــلا يـــرُدُّ جوابـــي

ولا يحُـــــلُّ قريبـــــا

جِـــنانُ يـــا نـــورَ عـــيني

أنهـــكتِ جـــسمي خُطُوبـــا

إن غِـــبتِ عـــنِّي فقلبـــي

يَـــــودُّ إلا يغيبـــــا

وقفة أيها النواسي لنبدأ سهرتنا لنتحاور معك في حرفك العاطفي الذي رجعتَ فيه إلى طبيعة الإنسان حبه للأنثى فإن حب الذكر للأنثى غريزة طبيعية أما الإنحرافات الجنسية فهذه شاذة على الطبيعة الإنسانية ومنحرفة كل الإنحـراف إلى حدٍّ يشين من يلتصق بها فالصورة هنا التي صورتها في حرفك لمحبوبتك جنان غير أنه حرف غزلي يشبب بأوصاف أنثى والأنثى هي ريحانة الرجل، فلندخل معك إلى محرابك الغرامي ونلج إلى هذا

الحرف ونصوره تصويراً يليق به وبما فيه من صور فنية، وتفتتح هذا الحرف بعاطفة مضمخة بالحب المجروح فإن حبيبتك ملأت فؤادك جروحاً حتى صيرتك صبّاً حزيناً كئيب، وجروح الهوى تدع الأجفان أن تسكب الدموع والعيون تفيض بالبكاء.. البكاء الذي يكتب ما في القلب من حب ومن جروح تتأجج وهيجا جاحماً من الحب، وتشعر المحب بطيب محبوبته فيهتدي على تضوع تلك العطور إلى مكان محبوبته حيث يدله عليها، ولسلطان الحب إذلالٌ يدل به على من يحبه فيظلمه ويعدُّ أحسن ما فيه ذنوباً وعيوب، ولا يستطيع أن يرد هذا الدلال وهذا الحب الجائر، وحتى تخلق على حبيبها رقيباً ولكنه رقيب من داخل المحبوب من آماقه الدموع التي لا تفارقه وتفضحه أمام مجتمعه وتعرفه أنه نضو هوىً، وبرغم تعذيبه فهي تضحك وتسخر إلا أنه يحسُّ بعذابٍ وجروح تألمه وتسلبه الرقاد، ويصور النواسي أنّ حبيبته جعلته في ميدان حرب بين قلبه وعينيه وهذه الحرب التي صورها الشاعر بين القلب والعيون، فالقلب يضم الحبيب كمأوىً له، والعيون تشرب النظرات من ذلك الحبيب فتخفيها عن القلب وهذه الصورة لا تتحقق إلا أن تكون العيون عالم منفصل عن القلوب كما عبَّر فولتير العرب الشريف الرضي عندما جعل العيون عالماً منفصلا عن القلوب؛ والقدامى يجعلون العيون رسلاً للقلوب ولنثبت رؤية الشاعر الكبير الشريف الرضي حين يقول:

هامت بكِ العين لم تتبع سواكِ هوىً

مَنْ علَّمَ العين أنّ القلب يهواكِ

ويوغل النواسي في هذه القطعة فيصور جوانحه أنّ فيها ناراً تتوهج وتضيء لتدعوا حبيبته لزيارته على ضوء هذه النار فإنها تضيء لها الطريق التي عبّر عنها بالغزال الربيب، فهي لا تَرُدُّ جوابه برغم هذه النار ولا تحل مشكلته من قريب أو بعيد، ويهتف باسم محبوبته كأنها على قلبه البشرى أو العيد (جنان) كأنها الضوء لعينيه ولكنها لهجرها أنكت جسمه بالجروح، ويكمل الصورة المشرقة فهو يرى غياب محبوبته عنه ولكنها وإن غابت في الصورة الظاهرية فإنها لا تغيب عن قلبه ما دام حيّاً.

****

اسم على مسمى

إنّ اســـمَ «حُـــسنٍ» لوجههـــا صِـــفةٌ

ولا أرى ذا فـــي غيرهـــا اجتمعـــا

فهـــي إذا سُـــمِّيتَ فقـــد وُصِـــفَتَ

فيجمـــعُ اللفـــظُ معنيـــينِ معـــا

إنَّ بـــشطِّ الفُـــراتِ لـــي ســـكناً

يبلـــغُ غيظـــي بكـــلّ مـــا وسِـــعَا

يُلـــصقُ أنفـــي بكـــلِّ مرغمـــةٍ

ولا يرانـــي عليـــه مُمتِعـــا

ولا زلنا معك في هذه السهرة الممتعة فنعود لتشبيبك وصفك لأنثى تسمى ـ حُسنْ ـ فاقتبست من معنى اسمها إلى حسن وجهها وجمالها فصورتها اسم ينطبق على المسمى ومن الغرائب أن يصادف بأنثى كمثلها اسم على مسمى، فالنداء باسمها هو وصف لها وكان هذا الوصف يجمع

معنيين اسمها وجمالها، ويشير النواسي إلى أنه يسكن بشط الفرات ولكنّه يرتفع غيظه حتى لا يسعه ذلك الشط وهذا الغيب جاءه من هجر حبيبته ولكنَّ حبيبته تؤذيه وتذله وتلصق أنفه بكل مرغمة وهذا الإرغام لعله يتمتع به النواسي.

****

ديني لنفسي

إني عشِقتُ وهل في العشق من باس

ما مرَّ مثل الهوى شيءٌ على راسي

مالي وللناسِ كم يلحونني سَفَهاً

ديني لنفسي ودينُ الناس للنّاسِ

ما للعداَةِ إذا ما زرتُ مالكتي

كأنَّ أوجُهَهم تُطلى بأنقاسِ

اللّه يعلمُ ما تركي زيارتكم

إلا مخافةَ أعدائي وحُرَّاسي

ولو قدرنا على الإتيان جئتكمُ

سعياً على الوجه أو مشياً على الراسِ

وقد قرأت كتاباً من صحائفكم

لا يرحمُ اللّهُ إلا راحمَ الناسِ

لا زلنا أيها النواسي في سهرتنا المستمرة معك وفي تصويرك للياليك الغرامية فنفتح كتابك ونقرأ سطوراً من حبك الذي رسمته في هذه القطعة عشقاً ما مثله عشق فإنك عاشق وهل في العشق من حرج أو بأسٍ، وتصور حياتك بأنها لم يمر عليها شيء أبلغ من الهوى الذي مر على رأسك، وتصور ولع الناس وتكلفهم بغيرهم فهم يلوموك في حبك ولكنه لوم سفيه فدين الناس لهم ودينك لك لا حرج لهم عليك ولا حرج لك عليهم، وبلغت مراقبتك من عداتك أنك إذا زرت مالكة قلبك كأنّ وجههم تطلى بمداد أسود من شدة الحسد والغيظ، ولخوفك منهم أقسمتَ يمين أنك لن تترك زيارتك لحبيبتك إلا خشية من أعداءك، ولولا هذه المراقبة لأتيت لها زائراً إذا لم تستطع على القدم سعيت على رأسك سعياً محبوباً تهنأ به، ثم تتعطف في حرف قرأته من رسائل محبوبتك الشوقية فيها مقال أن الله سبحانه وتعالى لا يرحم من عبيده إلا من يرحم الناس.

ثوب المذلة

أساقيتي كأساً أمرَّ من الصبر

ومحوجَتي من صفو عيشٍ إلى كَدرْ

وكنتُ عزيزاً قبل أنْ أعرِفَ الهوى

فألبسني ثوب المذلَّةِ والصَّغَرْ

ونتحدث معك أيها الشاعر النواسي في قطعة أخرى غزلية تخاطب فيها محبوبتك التي سقتك كأساً أمرَّ من الصبر، وبدلت صفوك بالكدر، وأنزلتك من برج العزِّ عندما شربت كأس الحب وحولتك وألبستك الذل والهوان.

شكوى!

أفنــيتُ فــيكِ معــانيَ الــشكوى

وصــفاتِ مــا ألــقى مــن البلــوى

جولَّــتُ آفــاق الــكلامِ فــما

أبــصرتُني قــصَّرْتُ عــن مــعنى

وأعُــدُّ مــا لا أشتــكي غبنــاً

فأعــودُ فيــه مــرةً أخــرى

فلــو أنَّ مــا أشــكو إلــى بشرٍ

لأراحــني مــن ذلــة الــشكوى

لكــنما أشــكو إلــى حَجــرٍ

تنبــو الــمعاولُ عــنه، أو أقــسى

ظــبيٌ بمــبكاهُ ومــضحكهِ

فيــنا تُــنيرُ وتُظلِــمُ الدنــيا

ونعود مرة أخرى لنتذوق هذا الحب الذي صورته وجسدته في هذه السيمفونية فنفتتح حرفها، ففيها شكوى مريرة من الحب فتنادي حبيبتك في وترٍ باكٍ حيث أنك أفنيت وقضيت حياتك في شكاياتٍ مريرة فمعانيها كلها ماتت في تلك الحروف وكل ما تلقاه من صفات حوادث وبلوى أفنيتها كما أفنيت شكواك ولا أدري كيف أفنيتَ هذه الشكايات، ولم تهز فؤاد حبيبتك، وأنت الشاعر البليغ الذي يحلق في جميع الآفاق ويقتنص المعاني البكر فيجسدها في حرفه صورة ناطقة، وتجعل كل ما شكوه من العدد ليس غبناً وترجع الكرة مرة أخرى، غير أنَّ شكاياتك التي أفنيتها في لحنك المتفجع بالبلوى إنما تشكو إلى قلب حجري أصم لا تؤثر فيه حتى المعاول فشكايتك صدى ضائع في صحراء، وتصور حبيبتك أنها ظبي تضحك الدنيا ببسمتها وتبكي الدنيا بدمعتها فالابتسامة تنير الحياة والدمعة ترخي على الدنيا ليلاً دامساً.

قصيدة الرسول المعشوق

أرسَلَ من أهوى رسولاً له

إليَّ والمنسوبُ محبوبُ

فقلتُ: أهلاً بك من مرسلٍ

ومن حبيبٍ زانه الطيبُ

جمَّشْتُه في كلمةٍ فانثنى

وقال: هذا منكَ تخريبُ

مثلُك لا يعشقُ مثلي وقد

هامت به بيضاءُ رعبوبُ

وجاءت الرسل بأنْ آتنا

فجئتُها والقلبُ مرعوبُ

قالت: تعشَّقتَ رسولي لقد

بدتْ لنا منكَ الأعاجيبُ

وقفةً أيها الشاعر النواسي لنفتتح السهرة معك ونعيش في محراب حبك وغرامك فقد صورتَ في هذه السميفونية تحاوراً عاطفياً عندما جاءك رسول من تهواه، فكان فتح وصلٍ وأحببتَ الرسول لأنه رسول الحبيب، فصورتَ الرسول كأنك جاءك الحبيب فرحبت به وشممت الطيب كأنه ضاع من حبيبك، ويضيف النواسي عندما جاءه الرسول جشمه بكلمة رقيقةٍ فكأنه يغازل محبوبه وعندما حسَّ الرسول بهذا التجشيم فتثنى طرباً، وقال له إنّ هذه الرسالة هي تجربة لك في حبك، وكان الرسول متحفظاً وأراد أن يرضي أبا نواس وخاطبه أن مثلك لا يعشق مثلي وقد هامت بعشقك فتاة فاتنة رعبيب أي بيضاء حسناء، وعندما قرأ رسالتها لم تأويه أرض ولم تظله سماء حتى أخذ يعدو حتى وقف على بابها ولكنّ فؤاده يدق خفقات وهو مرعوب هكذا الحبيب إذا لقيَ حبيبه لأنّ الحب والشوق يحركا القلب بل الجسم كله، وهنا كان من حبيبته كتاب قاسي حيث أن الحبيبة لا تريد أن يشاركها في حبها حبيب، فأبو نواس تعشق رسولها ولعله ذكر وهذا العشق وتر يغني عليه أبو نواس في انحرافه الجنسي فيثيرها هذا العشق حتى تبدي الاستغراب والعجب وهذه الإثارة لعلها تكشف عن رؤيتنا أن الرسول ذكر لا أنثى.

قصيدة غيَّركِ الزمان

سـأُعطيكِ الـرضا وأمـوتُ غمَّـا
وأوشـكتُ لا أغُـمُّكِ بالـعتابِ
عـهِدتُكِ مـرةً تنـوين وَصْلـي
وأنـتِ الـيومَ تـهوين اجتنـابي
وغـيَّركِ الزمـانُ وكـلُّ شـيءٍ
يـصيرُ إلـى الـتغيرِ والـذهابِ
فـإنْ كـان الـصوابُ لـديكِ هـجري
فعـمَّاكِ الإلـهُ عـن الـصوابِ

ولم نزل نواصل السهرة معك في حرفك الغزلي التي تصور فيه حبك إلى الأنثى، وهذه الأنثى هل هي جنس حواء أو أنثى بعينها فصورتَ حبك العاطفي وحنانك لحبيبتك فسوف تقـدم لها آيات الرضا وتموت غماً أي حزناً وتصمت صمتاً لا تنبس بحرف عن عتاب الحبيب لحبيبه لئلا تحزن

حبيبتك، ويمضي النواسي في وتره الحنون الذي لم ينبس فيه بعتاب وبرغم ذلك أنّ حبيبته كانت تحب وصله ولكنّ الأنثى لا تدوم على منهجية حبٍّ فعادت لهجرها فهي تهجره ولا تزوره، ولم يفاجئ النواسي بهذا التحول والتغير فهو يرى الزمان يغير أصدقاء ويغير الأحباب؛ فالزمان الذي غيّرها وهو حقيق بتغيير كل شيء، ويوغل في وتره الحنون فيخاطب محبوبته إذا كانت ترى حبيبته الصواب في هجره فيطلب من ربه في دعائه أن يعميها إذا كانت ترى الصواب في هجرها له .

****

قصيدة طفل كبير!

سألـــتُها قُبلــــةً فـــفزتُ بـــها

بعـــد امتـــناع وشــدَّةِ التعـــب

فقُلـــتُ بـــاللهِ يـــا مُعــــذِّبتي

جــودي بــأخرى أقــضي بهــا أرَبــي

فابتـــسمتْ، ثــم أرســلتْ مـــثلاً

يعرفُـــهُ الـــعُجْمُ لـــيس بالكــذبِ

«لا تُعطـــــيَنَّ الـــــصبيَّ واحــــدةً

يطلُــبُ أخــرى بــأعنفِ الطلــبِ!»

ولا زلنا نواصل السهرة مع النواسي في غزله وأمامنا سيمفونية فيها تحاور مع حبيبته وفيها زخم وبلاغة حيث سألها قبلة وبعد طول عناء وشدة وتعب وهكذا الأنثى تتدلل على حبيبها وتمتنع ثم تلين فتمكنه مما يريد ففاز النواسي بقبلة من ذلك الخد البضّ، فانفتحت شهوة النواسي إلى أن يعيد

تقبيلها مرة أخرى فقال لها وسألها وهو يقسم عليها بالله العظيم أنها معذبته أن تجود عليه بقبلة أخرى ليبلغ بها مناه إلا أنّ الأنثى لم تعطه سؤله وكان جوابها فيه إغراء الإبتسامة منها وضربت له مثلاً وهو صحيح وواقعي، هذا المثل الذي تعرفه العرب والعجم أنّ الصبي إذا أعطيته شيئ أطمعته في غيره وكل ما كررت له العطاء طلب منك الزيادة.

****

قصيدة أسعديني عريب!

نــال مـــني الـــهوى مـــنالاً عجيبــا

وتـــشـكَّيتُ عـاذلـــي والرقـــيبا

شِــبتُ طِفــلاً ولــم يحــنْ لــي مـشيبٌ

غيـــر أن الـــهوى رأى أن أشـــيبا

أســـعديني علـــى الزمـــان (عُريـــبٌ)

إنمـــا يُـــسعد الـــغريبُ الـــغريبا

وإذا جئـــــتُها سمِـــــعتُ غنـــــاءً

مُـــرجِعاً للفـــؤاد منـــي نـــصيبا

ونقف معك وقفة أخرى في صورة غزلية متحركة تنطق بالحب والعواطف التي صورتها في هذا المشهد، فالنواسي يصور كيف تغلغل الهوى والحبُّ فيه حتى بلغ إلى شيء عجيب يلفتُ الأنظار إليه حتى اضطره إلى أن يرفع شكواه إلى العذّال والرقباء عليه وعلى حبيبته، وهذا الحب عجل به

الشيب وهو في دور الطفولة ولم يصل إلى دور المشيب فالهوى حكم عليه بالشيب لواهج مجامره الغرامية، وهنا النواسي ضعفت قواه وطلب من حبيبته عريب أن تسعده لأنّ أحداث الزمان تراكمت عليه فعندما تسعده على ممر الزمان تخفف تلك الويلات وهما في هذه الحياة غريبان والغريب يسعف الغريب، ويطلب النواسي كل ما جاء إليها أن تسمعه غناءها حتى تخفف من هذه الويلات، يفرح الفؤاد وله في ذلك الغناء حق ونصيب، وعريب هذه هي إحدى المغنيات المشهورات التي هام بها ملوك الدولة العباسية ومن ضمنهم المأمون.

****

قصيدة اكتبي

اكتُبـــي إن كتبـــتِ يـــا مُنـــيةَ النَّفــ

ـــسِ، بنـــصحٍ ورقَّـــةٍ وبيـــانِ

كثِّـــري الـــسهو فـــي الكتـــاب ومجِّيـــ

ـــهِ بريـــق اللـــسانِ لا بالبنـــانِ

وأمِّـــري الـــحزامَ بـــين ثـــنايا

كِ الـــعِذَابِ المفلَّجـــاتِ الحـــسانِ

إنـــني كلمـــا مـــررتُ بـــسطرٍ

فـــيهِ محـــوٌ لطـــعتُه بلـــساني

فـــأرى ذاكَ قبلـــةً مـــن بـــعيدٍ

أســـعدتني ومـــا برحـــتُ مكـــاني

وقد أبدع النواسي في صوره الغزلية وتفنن في قطعه الموسيقية فنحن أمام هذه القطعة التي صور فيها النواسي رسالة شوقية وأبدع فيها وهو

يخاطب محبوبته برقة في وتر حنون فهي منى نفسه فيسألها أن تكتب رسالة حيث إنها إذا كتبتها ينساب في حروفها النصح والرِّقة ببيانٍ بليغ، وعندما تكتب هذه الرسالة تسهو وكل ما وقعت فيها غلطة فيرشدها لأن تمحوها بمج لسانها لا ببنانها، وهذهِ الصورة وراء حرفها إشارة بتمتع أبي نواس بعد مج اللسان منها للحروف حتى تمكنه من القبل على كل حرف مجته ومحته بلسانها فكأنه يمص من ثغرها رحيقاً، وقد أوضح هذه الصورة في بيته التالي كل ما مر بسطر محته حبيبته فهو يلطعه بلسانه، فكأنه يقبلها من بعيد وكلَّما تصور أنه يقبلها وهو في مكانه يشعر بالسعادة وإن كان بعيد فلعل أبا نواس أظهر نفسه هنا من العاشقين الزاهدين الذين غمرهم الكسل فصار من شريحة الذين يجمعهم الله بمعشوقته وينال منها ما يشاء فيما تشاء ثم يرسل عليهم سحابة فيها مطر فيغتسلان منها وإن اختلفت الصورة اختلافاً بعيداً إلا أن الصورتين تلتقيان في موضوع واحد ألا وهو القناعة.

قصيدة الشركة في الحب

كـــفاكَ مـــا مـــرَّ علـــى راســـي

مـــن شـــادنٍ هـــيَّجَ وســـواسي

أفـــضلُ مـــا أبلُـــغُ مـــن نعتـــه

تحـــدُّثي عـــن قلـــبهِ القاســـي

أغـــارُ أن أنعـــتَ منهـــا الـــذي

ينـــعته النـــاسُ مـــن النـــاسِ

كـــلُّ أحـــاديثي ســـوى ذكـــرها

منكـــشفٌ مـــني لجُلاســـي

لا حبَّـــذا الـــشركةُ فـــي حبِّهـــا

وحبَّـــذا الـــشركةُ فـــي الكـــأس

نفتتح سهرتنا مع النواسي في حرف من حروفه الغزلية التي سرنا معه في هذه الصور نمر بها صورة بعد أخرى، وقد خالف دربه من حياة

الغلامية إلى حياة النسائية، ونعرض شريطاً بعد شريط وقد أبدع النواسي في كتاب الحب كما أبدع في كأس العقار فهو شاعر الحب وشاعر العقار فنفتتح معه هذه القطعة ونحللها لعلنا نصل إلى أسرارها فإنه افتتح حرفه الغزلي بإشارة تبرميَّة حيث إنه تبرم من أحداث مرت على رأسه من محب شادن أهاج وساوسه، وهذه تكفيه مما مر به، ويضيف النواسي إلى الألم الذي أحدثه هذا الحبيب فأفضل عنده إذا مدحه أن يصفه بقلب حجري لا يرق ولا يلين وبرغم ما لاقاه أنه يغار على حبيبته من وصف الناس لها فقد بلغت به الغيرة والحب إلى مستوى هوس فَيَغار من الناس إذا وصفوها، فحبيبته أخذت عليه حياته وملكت قلبه فلا يرى أمامه وخلفه إلا هي في مجالسه فلا يتحدث بشيء إلا عنها، فارتفع الستار وانكشف حبه لهذه الفتاة فصار يعرفها كل جلاسه، وهو لا يحبذ الشركة في الحب مع الحبيب ولكن يفضل النديم في شركة الكأس وهذا تعبير بديع في الحب لأنّ الحب إذا كان معه شريك فلا حب إنما هو تصنع ونفاق.

قصيدة ظبية حوراء

قــد ســقتني - والــصبحُ قــد فتَّــقَ الليــ

ــلَ - بكأســينِ، ظبيــةٌ حــوراءُ

عــن بــنان كــأنه قُــضُبُ الفِــضَّ

ــةِ، قــنَّى أطرافــها الحِــنَّاءُ

ذاتُ حــسنٍ تُــسجى بأردافهــا الأزْ

رُ، وتطــوى فــي قُمــصِها الأحــشاءُ

قــد طــوى بطنهــا - علــى ســعةِ العيــ

ــشِ ضــمورٌ فــي حقوهــا وانطــواءُ

لم نزل نتحدث مع النواسي في قطَعه الغزلية فهذه القطعة التي أمامنا هي صورة من صور الحب والغرام ولو امتزجت بوصف للعقار إلا أن هذا الوصف كان ممراً وتكملة لسهرة أبي نواس اللاهية، فهو مع حبيبته الحوراء التي تسقيه كأساً وهل هذا الكأس هو من رضابها أم من العقار إلا أنها مزقت

الليل بأشعتها وكأنها صبح، وزان ذلك الكأس البنان التي تحمل الكأس ولبياضها وجمالها كأنها قضب من فضة وزادها روعة الحناء التي صبغت بنانها، فهي ذات حسن تسكن أوزرها فوق أردافها ولكن الأقمصة تطوى على الأحشاء هكذا العشاق الأوائل الذين يرون جمال المرأة في هذه الصورة الوصفية أما عصرنا الحديث فيحبون المرأة في صورة الرشاقة وكل ما رشقت زاد جمالها، ويكمل إطار الصورة فيه في دعة من العيش وسعة إلا أنها ضامرة البطن والخصر.

****

قصيدة محاسن معروفة

إنـــي وذِكـــرِيَ مـــن «حُسنٍ» محاســـنها

مثـلُ الـــذي قـــال: مـــا أحـــلاكَ يـــا عـــسلُ

أُحـــدّثُ النـــاس إنـــي قـــد وقعـــتُ لـــهم

مـن وجـهِ حسنٍ علـى الأمـر الـذي جهلـوا

قـــد اكتفـى النـاسُ مـن علمـي بعلمهـمُ

فـــالرَّدُّ مـــني علـــيهم علـــمُهُمْ نَقَـــلُ

ونعود معك أيها النواسي لنقرأ قطعة غزلية ونتسلل بين حروفها لنصور أسرارها فهنا يصور النواسي كل ما ذكر اسم حبيبته ـ حُسن ـ يصور هذا الذكر من محاسنها كما يقول شخص في رِقَّة وحنان لحبيبته ما أحلاك أيها العسل، وهو كل ما يحدث الناس عن هذا الجمال وكأنه يبصرهم بما جهلوه وخفيَ عنهم، ويضيف النواسي عندما عرّف الناس بجمال حبيبته فإنما هم نقلوا العلم الذي علمهم وعرفهم به فهم استفادوا من شعره ووصفه.

قصيدة الحُسن الكامل

تمَّــتْ، وتــم الحــسنُ فــي وجههــا
فــكلٌّ شــيءٍ مــا خــلاها مــحالْ
للنــاسِ فــي الــشهرِ هــلالٌ، ولــي
فــي وجهــها كــل صــباحٍ هــلالْ

وقفة أيها الشاعر النواسي لنتحدث مع حرفك التصويري فقد ضربت لحبيبتك مثالاً تاماً وكمل فيها الحسن وما عدَا هذا الحسن لو بحثنا عنه لا يوجد لأن وجوده من المحال، وعللتَ بعدم العثور على أمثال حسنها لأن للناس في كل شهر يرون الهلال أما حبيبتك ففي كل صباحٍ تطلع عليك هلالاً كاملاً.

لا شيء غيرها

أمــا يغــنى حــديثُك عــن جِنــان

ولا تُبقــى علــى هــذا اللــسان؟!

أَ كُــلَّ الــدَّهر، قلــتُ لهــا وقالــت؟

فــكم هــذا! أمَــا هــذا بفــانِ؟!

جعلــتُ النــاسَ كلَّــهُمُ ســواءً

إذا حــدَّثتَ عــنهُم فــي البيــانِ

عــدُوُّكَ كالــصَّديقِ وذا كهــذا

ســواءٌ، والأباعــدُ كــالأداني

إذا حــدَّثتَ عــن شــيءٍ، فولَّــتْ

عجــائبه، أتيْتَهــمُ بــثانِ

ونعود في سهرتنا التي مازلنا نتحدث فيها عن صورك الغزلية فأمامنا هذه السيمفونية، لقد عدتَ إلى معشوقتك ـ جِنان ـ أي صرحتَ باسمها أما

القطع السابقة قد تكون في جنان وموهتَ عنها باسم غيرها لا ندري فصورتَ أن حديثك عن جِنان قد يفنى ولا يبقى ذكره على لسانك غير أن هذا الحب لا يموت.. لاينطوي نجم إلا يشرق نجم آخر، وكيف تحدثتَ بهذا الحديث الذي يموت فيه حديثك عن حبيبك فأنت لستَ بمحب إنما أنت متصنع للحب حسب هذا التصوير، وأوضحت الصورة كأنك سئمتَ من طول هجرانها لك حتى قلتَ أكل الدهر تقضيه بالحديث عن ما قالته جنان وعن ما قلته أنت فهو فانٍ كما يفنى الدهر، وتتجرد من نفسك مخاطباً نفسك وهذا من صور التجريد البياني فتحدثها وتقول بأنك جعلتَ الناس كلهم سواء؛ عندما تتحدث عنهم في حرفك ولكنني أظنك عندما تتحدث عن الناس تستثني جنان من الحديث فتحدثها حديث الروح للروح، وتجعل أعداءك أصدقاء وأقرباءك كالأباعد ولعل هذا إنكار في هذا الحرف لا يستوي عدوك كالصديق والأباعد كالأقارب؛ والصورة معكوسة المعنى، وأوضحتَ ما ذهبنا إليه من تفسير في هذا البيت حيث إذا تحدثتَ عن شيء ومضى أتيتهم بالعجائب فتحدثت عن شيء ثانٍ، وقد رفع النواسي الستار وعرى الصورة لذي عينين فعندما يتغزل باسم أنثى أو يصفها وهو مهتوك الستر واضح الحرف وهي جنان معروفة للقراء.

قصيدة صخرة

حبيبـــي ظلـــومٌ، علـــيَّ ضنـــينُ

بربـــي علـــى ظُلْـــمه أستـــعينُ

يعــــزُّ علـــيَّ، ولكنـــــني

بـــحمدِ إلهـــي عليـــه أهـــونُ

فيـــا لـــيتَ شـــعري أمـــن صـــخرةٍ

فـــؤادُكَ هـــذا الـــذي لا يليـــنُ

يقـــولُ إذا مـــا اشـــتكيتُ الهـــوى

كـــما يـــشتكي البـــائسُ المـــستكينُ:

أفـــي الـــنَّوْمِ أبـــصرتَ ذا كلـــهُ

فـــخيراً رأيـــتَ، وخـــيراً يـــكونُ!

لم تزل سهرتنا مستمرة مع النواسي نتحاور معه في صوره الشعرية الغزلية فلنقف أمام هذه القطعة، فنرى النواسي هنا يأنُّ من ظلم حبيبه فيعبر

عنه بأن حبيبه ظلوم بخيل عليه وليس له أحد يعينه على ظلمه وبخله فلجأ إلى ربه يطلب العون منه، وإن كان عزيز عليه ما يلاقيه من حبيبه ولكن بحمده لله بهذه الأحداث التي تمر عليه فالحمد يهون ما يمر به، فيخاطب حبيبته باستفهام عاطفي لعله يستدر عطفها فهو في استفهام تقريري يصور قلب حبيبته من صخر لا يلين في قسوتها وهجرها، فشكواه من حِبِّه يشبه شكوى البائس الفقير، ويؤطر هذه الصورة كأنه حلِمَ بها وراءها في نومه فيتفاءل بهذه الرؤية ويدعو أنها خير يكون - إنشاء الله - له.



قصيدة فراق

أمّـــا الـــديارُ، فقلمـــا لـــبثوا بهـــا

بـــينَ اســـتباقِ الـــعيسِ بالـــركبانِ

وضَـــعُوا ســـياطَ الـشوق فـــي أعناقهـــا

حـــتىٰ اطّلَـــعْنَ بهـــم عـــن الأوطـــانِ

فلنتحدث معك أيها النواسي بالمفاجأة التي فاجأتك ببيع محبوبتك من مواليها إلى موالي آخرين وارتحالهم بها من البصرة إلى جهة يجهلها النواسي فجادت عليه آلهة الشعر فصور هذه المفاجأة، فيصور حياة جنان بالبصرة هي مثل اللحظات التي انطوت عندما ذهب بها الركب إلى محل يجهله ويجهل مقر حبيبته، ويصورهذه الرحلة في لهفته وحنينه ويصور أسواط الشوق في أعناق هذه الإبل وفي سرعة كسرعة البرق رحلوا بحبيبته عن الوطن... وطن أبي نواس، فأصبح فيه غريباً لأنه لا يحس إلا بوحشةٍ وغياب مضببٍ بالفراق وإن كانت لا تشاركه ذلك الجو المأساوي.

قصيدة الحسن الخالص

يـــا مـــن حـــوى الحـــسنَ محـــضا

واهـــتزَّ كالغُـــصنِ غـــضًّا[1]

لـــو أسخطـــتْكَ حياتـــي

قتلـــتُ نفـــسي لترضـــى

قف معي أيها القارئ لنتحدث مع أبي نواس في غزلياته التي سبق أن سهرنا معه ليالٍ وليال، فنفتتح هذه السهرة بهذه السيمفونية التي صور فيها أحاسيسه في عاطفةٍ سكبها في هذا الحرف، حيث صور محبوبه وقد احتوى على الحسن فغَّره الحسن فأخذ يهتز كما اهتز الغصن الطري المخضوضر، وأوغل أبو نواس في هذه العاطفة فصور حياته لو أسخطت محبوبته لقتل نفسه حتى يرضى ذلك الحبيب وهذا أقسى غاية الحب.

---

(١) محضا: خالصا   غضا: طريا رطيبا

قصيدة لغة الدمع

أمـــوتُ، ولا تـــدري، وأنـــت قتلتنـــي

فـــلا أنـــا أُبـــديها، ولا أنـــت تعلـــمُ

لـــساني وقلـــبي يكتُمـــانِ هـــواكمُ

ولـكـــنَّ دمعـــي بالـــهوى يـــتكلَّمُ

ولو لم يَبُحْ دمعي بمكنونِ حُبِّكُمْ

تكلَّـــم جِـــسْمٌ بالـــنُّحولِ يُتَرْجِـــمُ

نعود لنتحاور مع النواسي في هذه السهرة وهو يصف غرامه الذي كاد أن يتلفه كما يصور حرفه في هذه العاطفة المشبوبة أنه يبلغ الموت ولا يحسُّ حبيبه بما يصيبه من ألمٍ فكيف يحسُّ بمـوته إنه حبيب قاسٍ وهـذه من مفارقات الحياة ومن الابتلاء أن يكون الحب من طرفٍ دون الآخر فلا يبادله حباً بحب برغم أنه هو قاتله إلا أنه لا يُظهر له ما يكنه من ألمٍ أو قتل، وقد كرر عدم علم حبيبته في الصدر والعجز ولو اكتفى بالأخير لأغنى العجز عن الصدر، وأوغل النواسيّ في عـاطفته فصور أنَّ قلبه ونطقه لا

يتحدثان بحب حبيبته ويحرصان على كتمانه، ولكنَّ دمعه يفضحه عندما يسيل على خده، فهو الكلام الصامت الناطق، ويوغل في حبه العاطفي وعدم قدرته على كتمان ذلك الحب الساعر، فلو لم يتكلم الدمع ويفضحه لكان نحول جسمه والهزال سيفضحه ويذله لكونه عاشقا وهذه صورةٌ تقليدية رددها الشعراء وكررها ولاكها كما تلاكُ العنز في القيلولة فأصبحت صورة قاتمة لا جديد في ظلِّ حرفها.

****

قصيدة: عبدك

العبـــدُ عبـــدُكَ حقــاً، وابـــنُ عبـــدَيْكَ

فكيـف يعـصيكَ عبـدٌ طـوعُ كفَّيْـكَ

إنْ قـــال لبيـــكَ! لـــم تقنَـــع بواحـــدةٍ

حتـــى يُـضيفَ إلـــى لبيـــكَ سـعديكَ

يـــا شـــاغلي بِهـــواهُ مـــذ بليـــتُ بـــه

أسْـــخَنْتَ عينـــي أقـــرَّ اللهُ عينيـــكَ

لم تنتهِ هذه السهرة مع النواسي ولم نطوِ بساط الحديث معه بل لا يزال مفتوحاً فنلج معه لنصور هذه السيمفونية العبد عبدك فهو يصور نفسه عبداً له بل هو عبد لعبديك، فكيف يستطيع أن يعصي مولاه وهو طوع أنامله وأمره، وهذا التصوير في رأيي لا يليق في خضوعه إلا للخالق سبحانه وتعالى، لكنه يثب وثبةً شاعريَّةً بعد أن يكون تحت طوع يديه ويناديه بلبيك ويضيف أنه لا يكتفي بلبيك بل يضيف له بالسعد والسعادة في الحياة وهكذا الحبيب يدعو لحبيبه ولا يريد أن يمسه ضر أو كدر، فيوغل

النواسي في حبه حيث أصبح مشغولاً بحب حبيبه فقد أسخن عينيه وأمرضها فلا تذوق النوم ولكنه يدعو لحبيبه بعكس ما في النواسي من أسخان عينيه متضرعاً إلى خالقه أن يقر عين ذلك المحبوب.

****


قسم المديح

بعـد أن طوينـا صـفحات مـن التـصوير لحـرف أبي نواس الذي رسم للخمر صورةً مـن الـصور البديعـة إن صح هذا التعبير وكان شعره فيها متميز ينفرد به في وصفه التصويري، وفي كؤوس شـفافة وسـهرات داعـرة وليـالٍ حمراء ولكنه كشاعر أبدع في هذا التصوير وبـذ كثـيراً مـن الشعراء لم يصلوا إلى الشأو الذي صـور فيـه بنـت الكـرم وحبه وولعه بها ، وأتينا على صورٍ مـن عواطفـه الغراميـة التي اخترناها من ديوانه ندخل إلى أقسام أخرى فنبـدأ في قصائد المدح فنختار منها :

(آخر أربع أبيات من)

قصيدة عش أبداً

تـــضحكُ الـــدنيا إلـــى مـــلكٍ

قـــام بالأحكـــامِ والـــسُّنَنِ

يـــا أميـــنَ اللّهِ عـــش أبـــداً

فـــإذا أفنيتنـــا فـــكُنِ

كيـف تـسخو الـنفسُ عنـك، وقـد

قـــمتَ بالغالـــي مـــن الـــثمن

ســـنَّ للنـــاسِ النـــدى فنـــدُوا

فكـــأنَّ البـــخلَ لـــم يكـــنِ

يخاطب أبو نواس في مدحه التملقي الأمين في مجاملة فيصور الدنيا تضحك له لأنه قام بالأحكام والسنن، ويدعو له بأن يبقى أبداً حتى تفنى رعيته، فإذا فنيت فليفنى، أليست هذه المدحة من السخافة ومن المبالغة الزائفة هل البقاء بيده ومتى أقام الأحكام والسنن ولم يُمتَّع بهذا الحكم

فقتله أخوه المأمون على تنازع هذه الدنيا التي تضحك له، ويضيف أبو نواس أن نفسه لا تطيق مفارقة الأمين لأنه قام بالغالي من الثمن وسنَّ للناس الكرم حتى أصبحوا كرماء فكأنَّ البخل زال وانتهى هكذا المدَّاحون الذين يقبضون ثمن ذلك المدح فيقولون ما لا يعتقدون.

****

قصيدة ذئب وحمل

قـــل للأمـــين جـــزاكَ اللهُ صالـــحةً
لا تجمع الدهر بين السَّخلِ والـذيبِ
الـــسَّخلُ يعلـــمُ أنَّ الـــذئبَ آكلـــهُ
والذيبُ يعلمُ ما بالسَّخلِ من طيبِ

ونعود لنتحاور مع النواسي في باب مديحه الذي كانت الشعراء تتمسح ببلاط الملوك وتسكب عطورها بل كل ماء وجهها لقاء دنانيرٍ ستفنى ولكنَّ الشعر سيبقى لطخة سوداء في تاريخ ذلك الشاعر عندما يعطي ممدوحه صفات يصبغها عليه بعيدة كل البعد عنه، وليس فيه مصداقية من ذلك المديح إلا ما سطره الشاعر أما إن كان الممدوح فيه صور إنسانية يتحلى بها ويخدم مجتمعه ويفنى فيه ويحيا ذلك المجتمع فحقيق بنا أن نمدحه فنقول للمحسن أحسنت وللمسيئ أسأت، وهذه هي مبادئ الإسلام الفضلى التي جاء بها الرسول الأعظم وآله (سلام الله عليهم أجمعين) ليتم مكارم الأخلاق فاستمع معي أيها القارئ في مديحة أبي نواس حيث إنه في هذه

المدحة يعظ ممدوحه ويحذره بصفته ملكاً على أمَّةٍ ضخمة فيطلب أن يجزيه الله صالحةً إذا عدل في مواطنيه، ولم يسلط جنوده على الضعفاء منهم فكان في تمثيله رائعاً حيث مثل الضعفاء بالسخل والأقوياء بالذئاب فإذا سلَّط الذئب على السخل أكله مما فيه من طيبة اللحم ومن ضعف لا قوة له أمام الذئب، فهذا المديح كان مديحاً رائعاً ولو سار النواسيّ على هذه الصورة لأبدع.

****



قسم الهجاء

ولا بد أن نمر بأفكار الشاعر لنصورها في جميع إتجاهاته وبعد أن طوينا الأقسام الثلاثة (الخمريات - الغزل - المديح) نفتتح القسم الرابع الهجاء فنقف مع النواسيّ في حرفه الهجائي ونتحاور معه ونختار من هجائه قصائد (الدجال، زمن القرود، زواجه بعباسة، آخر الداء الكي).



قصيدة الدجال

(يهجو فيها سليمان بن سهل)

سـيروا إلـى أبعـدِ مُنتـابِ

قـد ظـهر الـدجَّالُ بـالزَّابِ

هـذا ابـنُ نيبَخْـتٍ لـه إمـرَةٌ

صـاحبُ كـتَّابٍ وحجَّـابِ

فالنواسي يهجو سليمان بن أبي سهل فيطلب السير إلى أبعد مكانٍ لأنَّ الدجال قد خرج بمحلة بالعراق أسمها الزَّاب فهو عند أبي نواس هو الدجال وفي ميزان أبي نواس أنه قد صار دجال لما احتوى على الإمرة وصار صاحب حجّاب وكتّاب، فهذه الإمرة وهذه الحجّاب والكتّاب أطغوه وأنسوه كل خُلُق حتى تحول إلى طاغية دجال في تصوير أبي نواس وميزانه.

قصيدة زمن القرود

(يهجو بها البرامكة جميعاً)

إنـــــيَ لـــــولا شـــــقاءُ جـــــدِّي
مـــا مـــات موســـى كـــذا ســـريعا

ولا طـــــوته الـــــمنون حـــــتى
أرى بـــــني برمـــــكٍ جـــــميعا

قـــــد رســـمَ اللهُ مـــــن خـــــصاهمْ
بـــــشاطئيْ دجلـــــةَ الجـــــذوعا

هـــــذا زمـــــانُ القـــــرودِ فاخـــــضع
وكـــــن لـــــهم ســـــامعاً مُطيعـــــا

كـــــأنهمْ قـــــد أتـــــى علـــــيهم
مـــــا غـــــالَ يعـــــقوب والربيعـــــا

ونعود فنتحاور مع النواسيّ في قطعته الهجائية التي هجا بها البرامكة وهل هجاء أبي نواس للبرامكة إرضاء للسلطة التي غضبت عليهم وحولتهم إلى أذل من ثمامة بعد أن كانوا ملوكاً يعمرون، وأمرهم غير مردود أم النواسي لم يرتع في حقلهم ولم يجنِ من زهرهم أو لما شاهده من ظلمهم وتجبرهم وسلطتهم الغاشمة،لا ندري

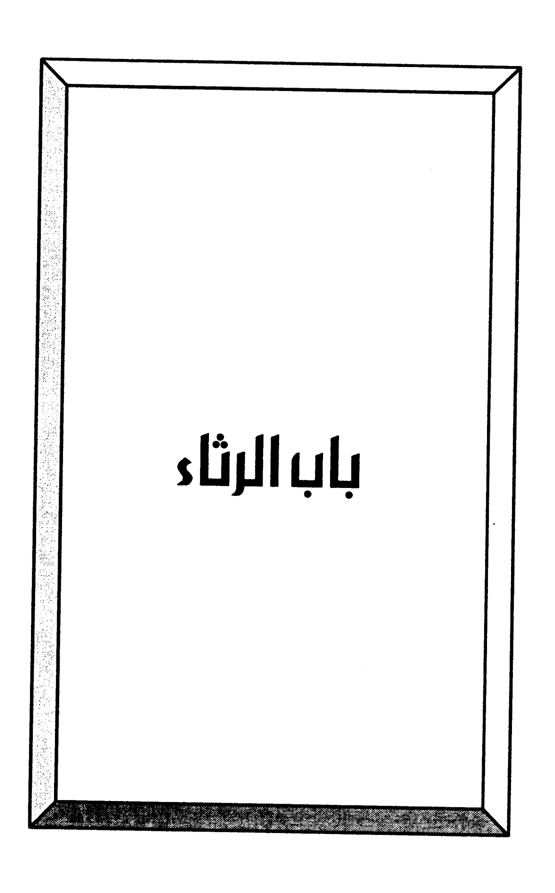
فالعوامل التخمينية كلها محتملة و جزء منها واقع أو كلها.

فلنبدأ التحاور معه حيث يقول لولا شقاء حظه لما مات موسى على وجه الخصوص ولعله موسى الهادي، أو من يعني؟! فلم يوضحه الشاعر ولا المؤرخ الذي عاصر النواسيّ وكَتَبَ أشعاره، ويتمنى أن موسى هذا لم تطوه المنون حتى يرى البرامكة حل بهم ما حل، ومشت عليهم عجلة الزمن فطوتهم، ورسمتهم في شاطىء دجلة أتفه شيء صوره النواسيّ بأقبح كلمة وهذه الحياة فيها صور وعِبَرْ لو اعتبر الإنسان فأين موسى الذي تمنى أن يرى، وأين الملوك وأين الآباء والأجداد؟ كلهم مضوا في خبر كان فيصور عصره... عصر القرود الذين تحكموا في البشر فيجب على البشر أن يخضعوا للقرود ويقولون ليعقوب والربيع سمعاً وطاعة ويخضعون لأنهم عبيد لهم.

قصيدة: زواجه بعباسة

ألا قــــل لأميــــن اللــــ
ــه، وابــن القــادةِ الســّاسةْ
إذا مـــا ناكــثٌ ســرَّ
ك أن تُفقــــدَهُ راســـهْ
فـــلا تقتُلـــهُ بالـــسيفِ
وزوّجْـــه بعباســـة

ونعود لنتحاور مع النواسي في وصفه الهجائي ولكنه هجاء عطف وتحنن في طلب مرفوع إلى الرشيد الملك العباسي بأن لا يقتل جعفر البرمكي ويزوجه بعباسه أخته حيث يخاطب الرشيد في رقةٍ ألا قل لأمين الله لأنه ابن القادة والساسة، وإن كان ناكثاً لا تفقده رأسه حتى لو سرَّك فلا تقتله بالسيف بل زوجه بعباسة وقد تناقض النواسيّ في قطعته الهجائية للبرامكة وفي هذه القطعة التي تحنن وتعطف فيها للرشيد ولكنَّ النواسي لعله جاء بالهجاء الذي وصف البرامكة بالقرود إرضاءً للسلطة كما قلنا.



باب الرثاء

ونختم فصل الهجاء لنفتح صفحات أخرى فنلج إلى باب الرثاء ونختار منه (قصيدة آخر الداء الكي، عزاء، البرامكة)

❖ ❖ ❖

قصيدة: آخر الداء الكي

يمـــوتُ مـــني كـــلَّ يـــومٍ شَـــيُّ

والجـــسمُ منـــي ثابـــتٌ وحـــيُّ

والـــمرءُ يبلَـــى نـــشرُه والطَّـــيُّ

وكـم عـسى مـن أن يـدوم الحـيُّ

وآخـر الـداء الـعياءِ الـكيُّ

وهذه القطعة كأنه يرثي بها نفسه ففي كل يومٍ يموت منه شيء ولكنّ جسمه لا يزال يتحرك على هذا الكوكب ولكنه يموت موتاً تدريجياً فالمرءُ في هذه الحياة كلما تقدم في كتاب عمره مات منه عضو حساس حتى يأتي على البقيَّة الباقية، وإنّ المرء يبليه كر الجديدين وهو النشر والطي وكم يعيش هذا المرء على هذا الكوكب فمهما عاش من عمرٍ معمر فمصيره الفناء والموت وفي رأي النواسيّ إنّ آخر أوجاع المرء هو الموت الذي يبرأ جميع الأمراض وهو الذي عبّر عنه بالكي وهذه القطعة عِبْرَة لمن اعتبر ففيها صور حسّاسة وموعظة بالغة.

قصيدة عزاء

تعزَّ أبا العباسِ عن خير هالكٍ
بأكرمِ حيٍّ كان أو هو كائنُ
حوادثُ أيامٍ تدور صروفُها
لهنَّ مساوٍ مرَّةً، ومحاسنُ
وفي الحيُّ بالميتِ الذي غيَّبَ الثرى
فلا أنت مغبونٌ، ولا الموت غابنُ

وقفةً معي أيها القارئ لنتحدث مع النواسيّ فنخاطبه في موقفه التناقضي حيث إنه في فصل الهجاء عرَّض بالربيع ولكنه في فصل الرثاء عزاه في موت الرشيد وهنأه بملوكية محمد الأمين تقرباً للوزير ليحوز على مكانة عند المسؤولين في ذلك العصر.

ملحوظة: وجد في الديوان في صدر البيت الثالث وفي الحيُّ بالضم والمعروف أنّ حرف في من حروف الجر حسب القواعد العربية فتقتضي أن تجرَّ الاسم فيقال في الحيِّ لا نعرف لماذا رفعها محقق الديوان أسهواً أم عنده رؤية أخرى ولعلَّه قصد بـ (وفى) فعلاً ماضياً لا حرف جر فيكون البيت صحيحاً.

قصيدة البرامكة

(قال هذين البيتين حين مر بدور البرامكة)

مـــا رعـــى الـــدهرُ آل برمـــكَ

أن رمـــى مُلكهـــم بـــأمرٍ فظيـــعِ

إنّ دهـــراً لـــم يـــرعَ حقـــاً ليحيـــىَ

غـــير راعٍ ذمـــامَ آلِ الربيـــعِ

ونعود لنتحدث مع النواسيّ في قطعة أخرى، حينما مرَّ على بيوت آل الربيع بعد أن حلوا مكان البرامكة بعد ما طحنهم كَلْكَلُ الزمان وأنزلهم إلى أسوء حياة بائسة مريرة وكانوا يعيشون في قمة النعم ويتحكمون في مصير الخلق وأمرهم ليس له رد عند الرشيد وسلطتهم تعادل سلطته، وفي أوقات قد تزيد عليه كما حدَّث التاريخ.

إنَّ هذه القطعة تعبر عن صورة واقعية فيها عظة وعبرة وكم من عِبَرٍ في التاريخ، فهو يحذر آل الربيع ألا يغرهم هذا الحكم وهذه السلطة.

فقد كانت قبلهم البرامكة فأين هم قد أمسوا في خبر كان ولا يجرؤ أحد على ذكرهم فضلاً عن مدحهم فالدهر لا يفرق فلم يرعهم بل رمى ملكهم بخطب فظيع وهوى بهم إلى الحضيض، فالدهر الذي لم يرعَ ليحيى هذا الملك سوف يرمي آل الربيع بما رمى به أبناء برمك.





باب العتاب

ونفتتح فصل العتاب ففـي العتـاب غـسل القلـوب وتنقية الضمائر وتطهيرهـا.. العتـاب لغـةٌ مستـساغة ولا سيما بين الصديق وصديقه، أو بين الحبيب وحبيبه، ويحلو العتاب بين العاشقين فيتذوقونـه ويـشربون منـه كؤوسـاً شفافة حتى قيل كل العشق عتـاب فـما ألـذَّ العتـاب بـين العاشقين فاسمع النواسي يعتاب حبيبه في هـذه القطعـة، قصيدة أفسدت قلبه التي يقول فيها إنَّ حبيبـه هـو الـذي قـلاه ويـضاعف هجـره بهجـر ليلتـين، والـشكوى منـه وإظهار مـساوئه وتـشهيرها بـين النـاس وهـذا مـن أمـرِّ العتاب، ويضج النواسي مـن أعـمال حبيبـه فيتهمـه بأنـه أفسد قلبه بعد أن كان صالحاً حتى عاد الصرم أي القطـع على رأسه فماذا بقي للنواسي.

قصيدة قطعة قرطاس

أريـــد قطعـــةَ قرطـــاسٍ فتُعجِزُنـــي

وجُـلُّ صحبيَ أصـحاب القـراطيسِ

لحـــاهمُ الله مـــن ودٍ ومعرفـــةٍ

إن المياسـير مـنهم كالمفـاليسِ

ونعود مع النواسي لنكمل السهرة معه فنراه في هذه الليلة في قطعته العتابية فيها لهفة وشوق وتحسر، فهو يريد قطعة قرطاس وما أهميَّة قطعة القرطاس لشاعر مثل أبي نواس، فهي عنده تعادل غذاء المعدة ولكنه يعجز عنها برغم أن صحبه من أصحاب القراطيس أي أكثرهم مثقفون وشعراء ومفكرون فهم يحتاجون إلى تلك القراطيس ليحبّرون عليها بنات أفكارهم، وهو يدعو عليهم في تفجع ويساوي موسرهم بمعسرهم لأنه لا فائدة له من الموسر، وهذه شكوى أدبية رائعة.

قصيدة مناساة

أيهـــا العـــاذلانِ لا تعـــذِلاني

فـــي مناســـاةِ خِلَّـــةِ الإخـــوان

مـــرضَ الـــودُّ والإخـــاءُ وبـــادا

فـــدعاني مـــن المـــلام دعـــاني

لم نزل في سهرتنا مع النواسي وتحاورنا معه في صور من عتابه، العتاب لذي كان له دور ولا يزال في الحياة الفكرية والاجتماعية، وسيبقى ما بقي ىذا الكوكب فنتحـدث معه وهو يعـاتب إخوانه وأصدقاءه، فهو يطلب ىن صديقيه اللذين يلومانه في نسيانه لبعض حقوق الأصدقاء، فالنواسي علل نسيـانه لسقم الحب والود فأبادهم السقام وهذه العلل دعته للملام ي للوم.


باب الزهد

إنّ الزهد في الحياة لمكرمة من مكارم الأتقياء المؤمنين فالزهد يربي النفس على الفضائل ، وينشئها على عدم الحرص والطمع في الحياة ويبعدها عن الانزلاق عن شهوات الدنيا ولذاتها ، لأنه يرفعه فوق هذه الشهوات الفانية إلى الدرجات الباقية ، إذا كان زهده خالصاً لله .

فنكمل سهرتنا مع النواسي إلى محراب من محاريب المعنويات لا ما عهدنا منه في لياليه الساهرة الداعرة ، فيما كتبه من حروفٍ سطرها في الزهد هذا النواسي الذي كتب في الخمر فأبدع وتغزل فَرَقَّ وكان في غزله شاعراً حساساً يشعر بسر الجمال وما فيه ، وهجا فكان هجَّاءً سليطاً ، ورثى فكان نوَّاحاً مجاملاً إلى أبعد حدود ، وعاتب فكان عتَّاباً يحسن العتب فكتب في الزهد فوصفه في أبدع صورة وصفية وهو الفصل الذي نتحاور فيه مع النواسي لإكمال سهرتنا هذه الليلة فنبدأ معه.

قصيدة جوهر الدنيا

متـــى ترضـــى مـــن الـــدنيا بـــشيءٍ

إذا لـــم تـــرضَ منـــها بالـــمزاجِ

ألـــم تـــرَ جـــوهرَ الـــدنيا المُـــصَفّى

ومخرجَـــه مـــن الـــبحرِ الأُجـــاجِ؟!

فهو يصف الدنيا ويحذر المرء إذا لم يرضَ من الدنيا بشيء من الأشياء والدنيا لا حلو فيها فسيرضى حتما بالمزاج وهو اللوز المر الذي أراده النواسي وضرب به مثلاً بهذه الدنيا لأنها مُرَّةٌ كالصبر وحالكة كالظلام، ويضيف وهو يضرب مثلاً بهذه الدنيا بالجوهر الذي يخرج من البحر المالح فتراه لؤلؤا مصفى وإن كان من البحر المالح ويقصد هنا بالجوهر حقيقة الحياة فهي لا حلو فيها وهذا مثلٌ رائعٌ يخفف من اندفاع الشهوة العارمة ويردها إلى مقرها وسكونها.

حديث القبور

ألا تأتـــي الـــقبورَ صـــباحَ يـــومٍ

فتــسمعَ مـــا تَخبِّـــرُكَ القبـــورُ؟!

فـــإن ســـكونها حَـــرَكٌ تنـــادَى

كـــأن بـــطونَ غائبهـــا ظـــهورُ

ونقف مع النواسي في هذه القطعة التي تصور لنا الزهد في الحياة في صورة تُهَوِّنُ في أعيننا هذه الحياة الفانية، وبهاذا نأتي الصباح لزيارة المقابر، فنقف على تلك القبور في تأمل بعيد وتفكير عميق لنتصور ما تحدثنا عنه القبور فهي تحدثنا بعد هنيهة أو أيامٍ هذا مقركم، هذه بيوتكم ستأتون إليها، وإنّ في سكونها الهادئ وصمتها العميق نداء يشفُّ لك عن باطنها وكأنه ظاهرها، هذه موعظةٌ تزّهد المرء عندما يقرأ هذه العبر ويقف على تلك القبور.

قصيدة في التراب

أيــا ربّ وجــهٍ فــي الــترابِ عتيــقِ

ويــاربّ حــسنٍ فــي التــرابِ رقيــقِ

ويــا رُبّ حــزمٍ فــي التــراب ونجــدةٍ

ويــا ربّ رأيٍ فــي التــراب وثيــقِ

أرى كــل حــيٍّ هــالكاً وابــن هالــكٍ

وذا نــسبٍ فــي الهــالكين عريــقِ

فــقل لــقريب الــدار إنــكَ ظــاعنٌ

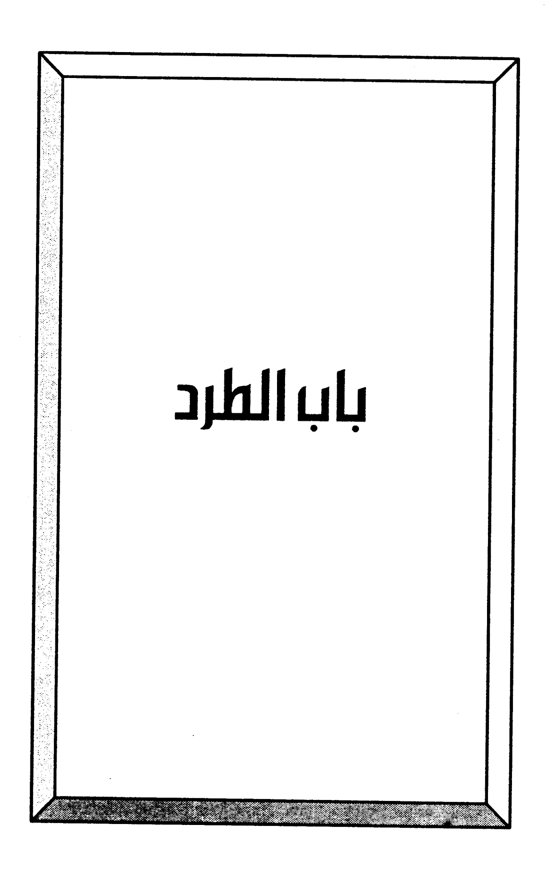
إلــى منــزلٍ نــائي المحــلِّ ســحيقِ

إذا امــتحن الــدنيا لبيــب تكــشَّفَتْ

لــه عــن عــدوٍّ فــي ثيــاب صــديقِ

ونفتتح سهرتنا الليلة مع النواسي لنتحاور معه في سيمفونية وصفية فيها عبرة وعظة فيها حقيقة تتجسد من واقعنا الذي نعيشه فاسمعه كيف

يصور لك الدنيا التي هي من أعدى أعداء الإنسان ويزهدك فيها ويرغبك للحياة الباقية الأخرى الدائمة، فيصف ذلك التراب الذي سيسير له كل كائن على هذا الكوكب، ويخص بها الإنسان لأنه عقل الحياة والمتصرف في طبيعتها، حيث أنعم الله عليه فسخر له هذا الكون يتمتع فيه، فالتراب يصفه النواسي إنّ ذراته هي من وجوه كانت من أحسن الوجوه فرُبّ ذرات من هذا التراب من وجه عتيق ورب ذرات من وجه حسناء، وبعض ذراته جُبِلَتْ من حزم ونجدة أي كرم ونخوة، وكم رأيٍّ وثيق تحول إلى ذرات من هذا التراب، والنواسي يوغل في الحقيقة فيضرب مثلاً وإن سبق الشاعر الجاهلي بعد هذه المقدمة التي تحولت ذراتها من صور وصفية ألاَّ يستغرب البشر لأن الإنسان هو هالك وابن هالك له نسب في سلسلة زمنية تاريخية طويلة تمتد في نعش الفناء لأن كل موجود فانٍ ولا يبقى إلا وجه الله فهو الباقي قبل كل شيء وحين لا شيء وبعد كل شيء، وهذا من أروع الأمثال بعد الصور التي شرحنا معانيها ويستمر النواسي في هذه الموعظة التعبيرية، فيوعظنا بأننا في هذه الحياة غرباء ما هي إلا أيام وسوف نظعن إلى الدنيا الباقية التي هي خير وأحسن مقاماً من الدنيا الفانية، ويختم موعظته بتجسيد للدنيا فإنها تتصور لك في بردٍ من الصداقة فإذا امتحنتها أي أمعنت تفكيرك في صورها وتقلبها رأيتها أمض عدوٍ في ثياب صديق وهذه صورة رائعة تجسد الواقع الذي نعيشه ونحن في غفلةٍ منه.



باب الطرد

ونختم فصولنا التي تحاورنا فيها مع النـواسي وسـهرنا معـه سهراتٍ وعرضنا على مسرح الفكر والحياة صوراً من ألوان شعره التي قسمها شارح ديوانه وعنون قصائدها وبوبـه ونـسقه تنـسيقاً فنياً فله شكرنا على هذا الجهد وهذا التنظيم وآخـر تنظيمـه جعـل للطرد باباً ولعله يقصد هنا بالطرد لا الطرد الذي يعبر عنه أرباب البلاغة لأنه لا تنطبق على هذا الباب النكتـة البلاغيـة التـي يعـبر عنها علماء البلاغة بنكتة الطرد وهي معروفة لدى أرباب البلاغـة وكل من يدرس علم البلاغة ، فالطرد هنـا لعـل شـارح الـديوان يقصد به أن النواسي أخذ على نفسه في هذه القطع عـدم الالتـزام بقيد من القيود بل هو يصف ويمدح ويطـرد في مـدح الحيوانـات ودمها ولا يختصر في مدحـه عـلى حيـوان معـين والله أعلـم بأننـا قصدنا ما قصده الشارح والمنسق لهذا الديوان، أم أخطأنا ما ذهبنا له من فكرة الشاعر أو الشارح، ولنختـار مـن هـذا البـاب الـذي أسماه الشارح بالطرد.

قصيدة كلب كالبطل..

لمَّا بدا الثعلبُ في سفح الجبل

صِحتُ بكلبي: ها فهاج كالبطلْ

كلبٌ جريءُ القلب محمودُ العمل

مؤدَّبٌ كل الخصالِ قد كَمُلْ

فجاذَبَ المِقْوَدَ كفِّي وحملْ

وطرد الثعلبَ طرداً ما بطل

ومرَّ كالصقرِ على الصَّيْدِ اشتملْ

فلفَّه لفَّاً سريعاً ما قتلْ

يا لك من كلبٍ إذا صاد عَدَلْ

نفتتح سهرتنا مع النواسي ونتحاور معه غير أن حوارنا يختلف عن السهرات الماضية فالحوار يدور في صورٍ وصفية للحيوان فهنا النواسي يصف معركةً بين كلب وثعلب فلنتحدث معه، فالنواسي يقول عندما ظهر

الثعلب على قمة الجبل صاح بكلبه واستخدم نكتة بلاغية وهي هاء التنبيه لينبه كلبه أنه أمام ثعلبٍ والثعلب ماكر، فكان كلبه بطلاً بعد توعيته، ويضيف النواسي صورة متحركة لهذا الكلب فهو كلب جريء لا يبالي بالعواقب وهو محمود الأعمال، ويحمل أدباً وقد كملت خصاله الطيبة في رأي أبي نواس فهو من الكلاب الجيدة، فالكلب تجاوز مقود النواسي وحمل حملةً شجاعة على الثعلب حتى طرده ودحره، وعندما طرد الثعلب انبرى إلى الصيد بسرعة كالبرق فصاد ما صاد وقتل ما قتل، ويختم سيمفونيته فيوصف كلبه بالعدل ولعل أبا نواس يقصد بهذه النكتة إلى إشارة سياسية بعيدة المرمى يكني بها عن بعض أمراء عصره أو حكامها الله أعلم بذلك.



قصيدة: ديك هندي

أنعــتُ ديكــاً مــن ديــوكِ الــهندِ

كـريــمَ عــمٍّ وكـريــمَ جــدِّ!

لِنــسبةٍ ليــست إلــى مَــعَدِّ

ولا قُــضاعيٍّ ولا فــي الأزدِ

مفــتَّحِ الــريش، شــديد الزَّنْــدِ

ضـخمِ المخاليـبِ، عظـيم العَضدِ

حتــى إذا الــدِّيكُ ارتــأى مــن بُعــدِ

ونجمـهُ فـي الـنحسِ لا فـي الـسعدِ

رأيتُــهُ كــالفارسِ المــعَدِ

يخطُـرُ خـطراً مثـلَ خطـرِ الأُسـدِ

يقــشُّه بالــكدِّ بعــدَ الكــدِّ

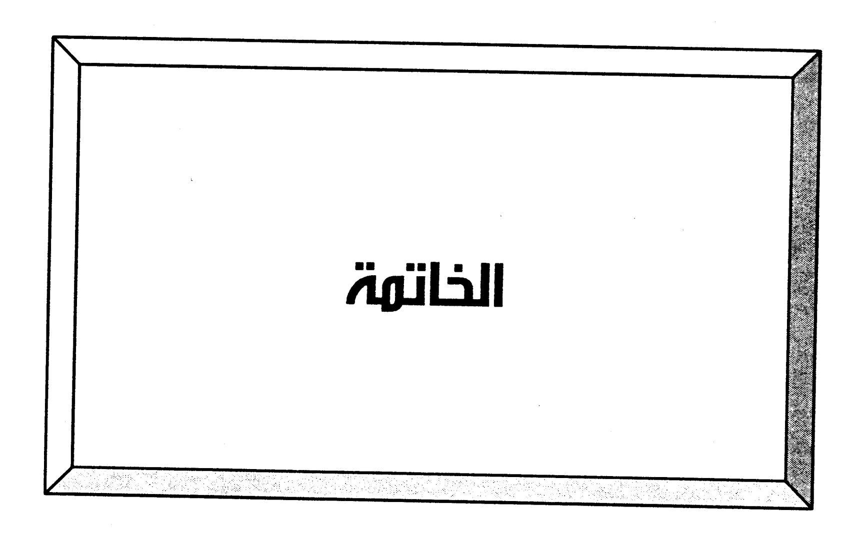
وتعــبٍ مُوَصّــلٍ بجهــدِ

حـــتى تـــرى الـــديكَ لـــه كالقـــدِّ

مفـــــكِّراً يعظـمُــــهُ بالـــسّجدِ

يـا لـكَ مـن ديـكٍ رُبـى فـي المَهْـدِ.!

ولا زلنا في سهرتنا التحاورية مع النواسي ولنفتح معه هذا التحاور في وصفه لديك هندي وهذه الشاعرية تتدفق كشلال ضوء أو كعدسة بلورية ترسم كل ما تمر عليه تلك العدسة من صور متحركة وساكنة فاسمعه كيف يصف هذا الديك، فهو يصف ديكاً ليس ديكاً عربياً إنما ديك هندي ويمدحه فإنه كريم الحسب والنسب فكأنه توهمَّ من يخاطبه أنه عربيٌّ فنفى عنه الانتماء للعرب فهو لا يُنسب لمعد ولا قضاعة ولا الأزد، فهو ديك مفتح الريش وقوي الزند وضخم المخالب وقوي العضد فهو قويٌّ من الدياكة التي تشبه الأسود بانتفاخها وانتفاش ريشها ومهاجمتها لنوعها، فإذا نظرته من بعيد كأنه أسد يريد أن ينقض عليك فهو في نحس لا سعد، فتحسبه من بعد كأنه فارس محارب يختال كما تختال الأسود، فلا يكاد يصطاده صاحبه إلا بعد جهد طويل وتجوال ركض يلهثُ خلف ذلك الديك يجره بجهد بعد جهد، فبعد ذلك الجهد المضني ترى الديك يعود لتفكيره وانصياعه لصاحبه فيسجد له أي يخضع له خضوع المملوك لمالكه، ويعلل النواسي هذا التفكير وهذا الخضوع لتربية الديك الذي عني بها من المهد حتى كبر



الخاتمة

لا بد لي من كلمة بعد ما تحدثتُ حديثاً مستوعباً لدراسة شعر النواسي والبواعث الشعورية التأثيرية في صور شعره وتجسيده كمرآةٍ لصورة من صور مرآة ذلك العصر، ومن بعض صفحات ذاك العصر الذي غرق في الدعة والترف وبطر فقد نسي نعم الله التي أنعمها الله عليه وكان يعيش في قمة اللهو وليس أبو نواس هو الوحيد الذي عكس هذا الجانب فهناك شعراء كثر شاركوه وتحدثوا في أشعارهم عن هذه الصور الحمراء الماجنة ويظهر بأنَّ تلك الإنطلاقة والحرية لا رقيب عليها من مسؤولي ذلك العصر فيقفوها أو يعاقبوها فأبواب الحانات التي تفتح أبوابها شبه العلنية ولا تخشى من الشرطة أو من العقاب فتعيش بحرية تمارس لياليها وأشرنا في هذه الدراسة إلى فصول من تنوع شعر أبي نواس الذي قسمه الشارح الذي قام بتنظيمه ووضع أسماء للقصائد فكان موفقاً فيشكر على هذه العناية الفكرية لأن هذا التراث هو تراث فكر عربي يجب علينا صيانته والحفاظ عليه والإشادة به فمن لا ماضي له لا حاضر له والثقافة هي إشعاع يتصل بالينبوع الأول أو لذرة تنبثق من أفق الفكر حتى يمتد عمودها فيملأ الآفاق ضوءً ينير الأجيال في عتمة هذه الحياة، ونسأل الله السداد والتوفيق فيما يحبه ويرضاه، وألاَّ نخرج عن دائرة طاعته وأن نتقيد بنواهيه ونعمل بأوامره والحمد لله رب العالمين وله الفضل والشكر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين،،،

١/ ٣/ ١٤٢٩هـ

٩/ ٣/ ٢٠٠٨م

السِّيرة الذَّاتيَّة للمؤلِّف

الاسم

محمَّد سعيد بن الشَّيخ عَلِيٍّ بن حسن بن مهدي الْخُنيزيّ

تاريخ الميلاد

٢/٢/١٩٢٥م.

العنوان

المملكة العربية السُّعودية

المنطقة الشَّرقية - القطيف

الرمز البريدي: ٣١٩١١

ص. ب: ٨٧٩

تليفون ـ فاكس: ٨٥٥١٠١٣

« محمَّد سعيد الشَّيخ عَلِيٍّ أبو الحسن الْخُنيزيّ »

موجز السِّيرة الذَّاتيَّة

ولدتُ فِيْ اليوم والشهر مِنْ العام الَّذي حددتُ تاريخه بالميلادي، فِيْ الصفحة الأُولى من هذه السِّيرة، ودرجتُ على هذا الكوكب تحت رعاية والدي الشَّيخ / علي أبي الحسن الخنيزي.. الَّذي كان مرجعًا وقاضيًا لجميع المذاهب مِنْ سنة وشيعة.. ويرضون بحكمه، أُصِبتُ فِيْ السادسة مِنْ عمري تقريبًا بأثمـنِ كنزٍ فِيْ حياتي، وهيَ عيني، الَّتي تعكسُ طبيعة الحياة، ومناظرها الجميلة، وعندما بلغت السابعة مِنْ عمري، أدخلني أبي الكُتَّاب.. لأنَّ ذلك الظَّرف لا توجد فيه مدارس على منهجية المدارس الحديثة اليوم، وكان هذا الكُتَّاب قِمَّة الكتاتيب فِيْ ذلك العصر، ويديرانهُ ويتعاقبان عليه الأخوان فضيلتا الشَّيخ / محمد صالح البريكي صباحًا، وأخوه الشَّيخ ميرزا حسين البريكي مساءاً، وهذا الكُتَّاب يُعلِّم كتاب الله، ونمَطًا مِنْ الخطِّ، وضربًا مِنْ أنواع الحساب، ويسمى بالجمع والطرح والضرب والقسمـة، الَّذي هُوَ بعـض دروس الرِّيـاضيـات اليـوم، كمـا يعطـي لونـا مِنْ الشِّعْرِ العربـي، ويشـرح بعـض كلماتـه، ويطلـب مِنْ الطُّـلاب حفظ ذلك الشِّعْرِ، وللكُتَّاب أسلـوب ومنهجيـة فِيْ دفـعِ الأجورِ، وأيَّام الـتَّعليم طيلة الأسبوع، والإجازة يومي الخميس والجمعة، ولا تتخلَّل الدِّراسة فسحات يرتاح فيها الطُّلاب مِنْ جُهدِ الدِّراسة، وقَدْ خرجت مِنْ هذا الكُتَّاب بعد أنْ اجتزت مراحله

التَّعليميَّة، وتعليمي كان غيبيًا عَنْ طريق الحفظ القلبي.. لا البصري، خرجت مِنْهُ وأنَا أبلغ الثَّالثة عشرة، وبعد فترة هيأني والدي للدِّراسة، لأتخصص فِيْ العلوم الدِّينية، فدرست قواعد اللُّغة العربية، ومِنْ كتبها متن الأجرومية وشرحه لذحلان، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك، والمغني لابن هشام، كما قرأت بعض الكتب العقلية والفلسفية، كالحاشية في المنطق، والشَّمسية في المنطق، وقرأت كتب البلاغة، كالمطول ومختصره، وهو يبحث في أسرار البلاغة، ويوضّح لك سرّ البلاغة والنكت الَّتي تحتوي عليها، كما قرأت شريحة من كتب الفقه، وكتبًا من أصول الفقه، وفوجئت وأنا في ربيع الدِّراسة، وقبل اليفاعة بموت والدي فكان لموته انحسارًا، كانحسار الرَّبيع عَنْ الورد، فأصبحت كالحقل الَّذي جفَّ ماؤه، وبرغم ما عانيته من الثالوث غير المقدس «الفقر، وإصابتي بالعين، وفقد أبي» واصلت دراستي العلمية، وكنت أقتل أوقاتي في الدروس، كما أنني أُدَرِّس ثلَّةً منْ الطلاب، سنشير لهم في الصَّفحة المخصَّصة لهم، وإنَّني إذ أختصر هذه الأحرف، فقَدْ وضعت سيرتي الذاتية في كتابٍ، يتكوَّن من مجلدين أسميته «خيوط من الشَّمس» يحتوي هذه الحياة البسيطة، وما عانيت مِنْ حلوٍ ومرٍّ، ومررت فيه بقنوات تاريخية تمر بحياتي الذَّاتية، أو ما يتصل بقنوات تاريخية لها ارتباط من قريب أو بعيد بهذه السِّيرة.

أمَّا الوظائف :

فلم ألتحق بوظيفة من الوظائف، إنَّما امتهنت عملاً حرًّا غير مرتبط بدائرة أو مؤسسة، وهي المحاماة، وذلك بالمرافعة فِيْ القضايا، الَّتي تَنْظر فيها المحاكم الشَّرعية.

أبرز المواقف

لقَدْ مررتُ في هذه الحياة بمواقف مؤلمة، ومفرحة، ولكن في رأيي أخطر موقف مررت به.. واتخذت فيه قرارًا حاسمًا، بعد أنْ مرَّت عواصف من التردد بأفق نفسي، وحيـرة تكتنفها شكوك من الضَّباب، ولكنني في النهاية أصدرت قراري النهائي، وتركـت دراستي العلمية لأنزل إلى ميدان العمل «المحاماة» مِنْ أجل الكسب على عيالي، لكي لا أعيش عالة على المجتمع.



الأساتذة

الأسـاتذة الَّذين تتلمذت عليهم، هم: والدي الإمام الشَّيخ / علي أبو الحسن الخنيزي، والعلاَّمتان الشَّيخ / عبد الحميد الشَّيخ علي الخنيزي الخطي، والشَّيخ / فرج العمران، والعلاَّمة الشَّيخ / محمَّد صالح المبارك، والشَّيخ / محمَّد صالح البريكي، وهؤلاء العلماء كلهم من أهالي القطيف، ولكن أستاذي الَّذي أعتبره كالجامعة من النقطة الأولى إلى المرحلة العليا، هُوَ والدي.. فهو لي كجامعة من المعارف.



أبرز التلاميذ

إنَّ التلاميذ الَّذين درسوا على يدي كُثر، لعلَّهم يصلون إلى خمسين طالبًا، أو يزيدون.. غيـــر أنَّ مِنْ أنجحهم وأبرزهم فضيلة الأُستاذ العلاَّمة الشَّيخ/ عبد الله الشَّيخ علي الخنيزي، حيث أسهم فِيْ الحياة الفكرية بثروة ثرة وذلك من خلال كتبٍ متعددة الألوان.. خدم بها اللُّغة العربية والفكر، والشَّيخ عبـاس المحروس حيث أصبح خطيبًا، وعبد الغني أحمد السنان، حيث أصبح أحد الشَّخصيات البارزة في شركة أرامكو السُّعودية، ومحمَّد سعيد الشَّيخ محمَّد علي بن حسن علي الخنيزي، أصبح شخصية من الشَّخصيات الوطنية بالقطيف، ومهنا الحاج حسن الشماسي، ومحمَّد رضا نصر الله، حيث أصبح صحفيًا غير محدود وهو الآن عضو في مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، وفؤاد عبد الواحد نصر الله، حيث صار صحفيًا، ومحمَّد وحسن أبناء الشَّيخ فرج العمران، وجاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن آل خضر، وجمال عبد اللطيف وحسن أحمد الطويل، وهناك طلاب آخرون إنَّما لا تسع هذه الصَّفحة لذكرهم.

السِّيرة العلميَّة

إنَّ سيرتـي العملية: كانت تنبثق عَنْ عملٍ حرٍّ - وهيَ المحاماة - فإنَّنـي لَمْ ألتحق بوظيفة في القطاع الخاص.. أو العام.. على حد سواء، إنَّما استعملت معارفي العلمية في المحاماة، وصرت لا أقبل مرافعة قضية، إلاَّ بعد دراستها، ومعرفة وسائل حججها ووثائقها، فإذا طبقتها حسب معرفتي على القواعد الشَّرعية، وبان لي موافقتها على ذلك قبلتها، وترافعت فيها، ومن أجل ذلك كسبت أكثرها بفضل الله وتوفيقه.

رؤية ودراسات

لا بُدَّ من إشارة مقتضبة: لما قـام به المفكرون والأدباء من دراسات عميقة عن أعمالي الأدبية، وقد أشير لبعضها في مقدمة ديوان مدينة الدراري، الدراسة الَّتي كتبتها البنت فردوس، والدِّراسة الَّتي في مقدمة كانوا على الدرب، للدُّكتور/ حسام سعيد سلمان العبد الهادي الحبيب، ودراسات متفرقة، لم يجمع شتاتها فِيْ كتيب يبقى رصيداً ومرجعًا، لمن أراد الدراسة عن هذه الأعمال، وهذه الدراسات نشرت على صفحات الصُّحف الداخلية والخارجية، وفي كتب كثر، كما أذيعـت حلقات دراسيـة من إذاعات عربية..

وغير عربية، ومن راديو المملكة من جميع محطاتها، ومن راديو لندن في رياض الشِّعْر، وأكثرها أشير لها في كتاب «خيوط من الشَّمس» كما شاركت في عدَّة ندوات فكرية وأدبية، أبرزها مؤتمر الشعر في الخليج الذي أقيم في مدينة الرياض تحت رعاية رئيس رعاية الشباب الأمير فيصل بن فهد عام ثمانية بعد الأربعمائة والألف هجرياً وآخر ندوة الَّتي أقامها لي الـنَّادي الأدبي بقاعة الجمعية الخيرية بالقطيف، في عام ١٤١٩هـ ، وأقام النادي نفسه ندوة أسماها بعيون الشعر ألقيت فيها قصيدة على كف عفريت كما تم تكريمي من وزير التعليم العالي الدكتور خالد العنقري بصفتي أحد الرواد مع ثلة من رواد المملكة في معرض الكتاب بمدينة الرياض تحت رعاية خادم الحرمين وقد حضر عنه بالنيابة الأمير سطّام بن عبد العزيز وقد صدر كتاب عن الرواد يتضمن نبذة من حياتهم مع صورهم الشمسية ، كما منحوا شهادة تقدير من الدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي وجائزة وهي عبارة عن درع وكأس كتب عليهما اسمي.



الكتّاب الذين كتبوا عن أعمالي

أريد أن أثبت هنا بعض المفكرين الذين اهتموا وكتبوا عن بعض أعمالي الفكرية وليس على سبيل الحصر وإنما نذكر شريحة منهم وهي كسجل أو فهرست لهذه الأسماء وهي:

اسم المؤلف	اسم الكتاب	اسم المطبعة	الطبعة والتاريخ	رقم الصفحة
د / بدوي طبانة	من أعلام الشعر	دار الرفاعي ـ الرياض	ط ١-١٤١٢هـ	٣٢٧
الشيخ عبد الله الخنيزي	نسيم وزوبعة	القاهرة	ط ١-١٣٩٧هـ	٢٣١
د / بكري شيخ أمين	الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية	دار صادر ـ بيروت	ط ١-١٣٩٣هـ	٣٨٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	واحة على ضفاف الخليج	مطبعة الفرزدق ـ الرياض	ط ٢-١٤١١هـ	٤٠٥
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	هذه بلادنا	مطابع جامعة الملك سعود	ط ١-١٤١٠هـ	٢٣٠
الأستاذ / محمد سعيد المسلم	ساحل الذهب الأسود	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	ط ٢-١٣٨٢هـ	٢٤٧

الأستاذ / عبد الله عبد الجبار	التيارات الأدبية الحديثة في قلب ج	جامعة الدول العربية	ط ١-١٩٥٩م	٢٨٩
الأستاذ / عبد الله أحمد الشباط	أدباء من الخليج العربي	الدار الوطنية ـ الخبر	ط ١-١٤٠٦هـ	٢٧٤
د / عبد الله آل مبارك	الأدب العربي في الجزيرة ق١	مطبعة الجبلاوي القاهرة	ط ١ـ١٩٧٣م	٣٦
د / عبد الله الحامد	الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية	دار الكتاب السعودي	ط ١ـ١٤٠٦هـ	٨٢
خليف بن سعد الخليف	الاتجاه الإسلامي في الشعر الحديث	مطبعة سفير ـ الرياض	ط ١ـ١٤٠٩ هـ	٨٩
د / عمر الطيب الساسي	الموجز في تاريخ الأدب السعودي	مطابع سحر ـ جدة	ط ١ـ١٤٠٦ هـ	٢٤٤
عبد العلي آل سيف	القطيف وأضواء على شعرها الحديث	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط ١-١٤٠٦ هـ	٣٠٠
عبد الرحمن العبيد	الأدب في الخليج العربي	النشاط الثقافي ـ الرياض	ط ١ـ١٣٧٧هـ	٥٨
د / شيخ عبد الهادي فضلي	في جريدة اليوم عدد (٢٥٠)		١٣٨٨هـ	
الأستاذ / الخياط	في البلاد السعودية			

د / شفاء عقيل	دراسة عن الشعر الرومانسي	رسالة ماجستير		
د / علي جواد الطاهر	معجم المطبوعات	مطابع الفرزدق ـ الرياض	ط٢ـ١٤١٨ هـ	١١٥٤،٤ ٦
د / علي جواد الطاهر	عالم الكتاب	المجلد الثالث العدد الرابع	١٤٠٣ هـ	٥١٨،١٩
السيدحسن أبوالرحى	المنهل	المجلد الثاني		٧٥
الشيخ علي الشيخ منصور المرهون	شعراء القطيف	الجزء الثاني		١٥٠
أ / أبو بكر الشمري	الفهرست المفيد في أعلام الخليج	الدار الوطنية ـ الخبر	ط١ـ١٤١٣ هـ	١٥٩
الدائرة للأعلام	معجم الكتّاب والمؤلفين	الدائرة للأعلام المحدودة	ط٢-١٤١٣ هـ	٥٢
عبد الله حسن آل عبد المحسن	شعراء القطيف المعاصرون	مطابع الرجاء ـ الخبر	ط١-١٤١٤ هـ	٨٥
السيد حسن العوامي	صحيفة اليوم			

السيد محمد الصويغ				
الأستاذة / فردوس الخنيزي	ديوان مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام	ط ١ـ١٤١٤ هـ	٩
د / حسام سعيد الحبيب	ديوان كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	ط ١ـ١٤١٦ هـ	٩
أ/السيد حسن العوامي	من وحي القلم	دار المحجة بيروت	ط ١-١٤٢٣ هـ	٤٠
سعود الفرج	شعراء مبدعون	القطيف	ط ١-١٤١٧ هـ	٣٢٣
فائز المسلم	ذكرى مؤرخ وشاعر	الدمام	ط ١-١٤١٨ هـ	٢٦٣
خالد سعود الحليبي	الشعر الحديث في الإحساء	مطابع الوفاء الدمام	ط ١-١٤٢٤ هـ	١١٢-٤٠٨،٠٩
أحمد سعيد بن سلم	موسوعة الأدباء والكتّاب	دار المنار القاهرة	١٤١٢ هـ	٣٢٣
خالد أحمد اليوسف	دليل الكتّاب والكاتبات	الجمعية العربية	١٤١٥ هـ	١٠٨
د/محمد عثمان الملا	الحكمة في شعر بني عبد القيس	الدار الوطنية	١٤٢٠ هـ	٨٥
معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرين	مطابع الملك فهد	١٩٩٥م	١٨٦

معجم البابطين	الشعراء العرب المعاصرون	مطابع الملك فهد	٢٠٠٢م	٦٠٥
سعيد أحمد الناجي	المعجم الخفيف في تراجم أعلام القطيف	أطياف للنشر والتوزيع القطيف	٢٠٠٦ م	٣١٣
وزارة التعليم العالي	رواد المؤلفين السعوديين	معرض الكتاب	٢٠٠٦م	٣٩،٤٠
الموسوعة	موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث	الرياض	١٤٢٢ هـ	٢٩١،٢٩٢
مكتبة الملك فهد	أخبار المكتبة	الرياض عدد٣١ رجب	١٤٢٥ هـ	٢٢
الشيخ علي البلادي	أنوار البدرين - مؤسس الهداية	بيروت ٢٠٠٣م ط١	٣٦٥، ٣٧٤، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٢٩، ٤٣٣.	

مضافاً إلى ما كتبته الصحافة المحلية والخارجية عن هذه الأعمال الأدبية وأذاعت عنها الإذاعات العربية والغربية.



الأعمال العلمية والأدبية

اسم الكتاب	اسم المطبعة	سنة الطبع	نوع الكتاب
النغم الجريح	دار مكتبة الحياة ـ بيروت	١٣٨١هـ - ١٩٦١م	شعر
شيء اسمه الحب	مكتبة الأنجلو المصرية	١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م	شعر
شمس بلا أفق	الدار العالمية ـ بيروت	١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م	شعر
مدينة الدراري	مطابع الرضا ـ الدمام ـ السعودية	١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م	شعر
كانوا على الدرب	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م	شعر
خيوط من الشمس «قصة وتاريخ»	مؤسسة البلاغ ـ بيروت	١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م	مجلدان نثر

الشعر ودوره في الحياة: أنجز منه مجلدان (المجلد الأوّل - في جزأين) يحتوي على العصر الجاهلي، وعصر النور « الإسلام» والأموي والعباسي، وفترة الفكر الانتكاسية، والجزء الثّاني يحتوي على دراسة حياة بعض الشعراء للأقطار العربية.

المجلد الثاني (في جزأين) الثالث خاص بشعراء المملكة الرومانسيين والجزء الرابع خاًص بثلة من شعراء القطيف الكلاسيكيين .

تهاويل عبقر	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م	شعر
العبقري المغمور	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م	نثر
أضواء من النقد في الأدب العربي	مؤسسة البلاغ - بيروت	١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م	نثر
إيحاءات سماوية	تحت الطبع	****	شعر
أوراق متناثرة	دار المحجة البيضاء	١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م	شعر
أشباح في الظلام	دار المحجة البيضاء	ط ١ - ١٤٢٧ هـ	نثر
من ذاكرة التاريخ	مخطوط	***	نثر
أيام من التاريخ	مخطوط	***	نثر
المعري الشاك	دار المحجة البيضاء	١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م	نثر
ذكرى أبو نسيم	تحت الطبع	***	نثر
دراسات في شعر أبي نواس (بين يدي القارئ)	الخبر		نثر

المحتوى

باب الغزل

قسم المديح

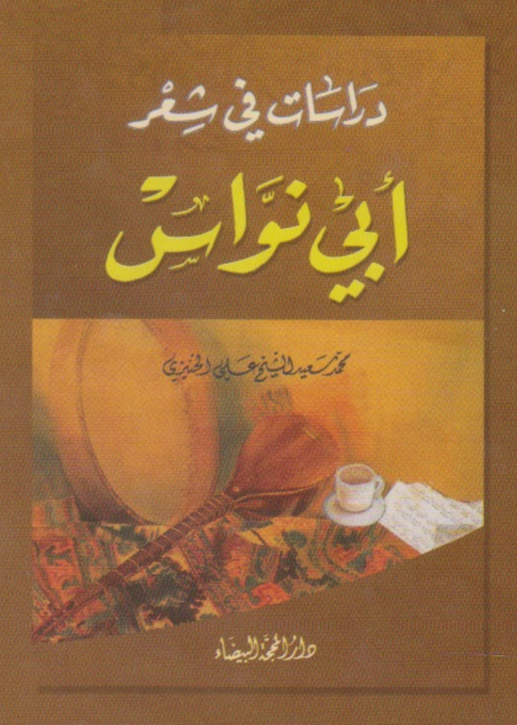
قسم الهجاء

باب الرثاء

باب العتاب

باب الزهد

باب الطرد





الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com